تاليا

TALYA

رواية

سلمى عبدالهادي

دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني 2019

تاليا

رواية

سلمى عبدالهادي

العنوان: تاليا

النوع الأدبي: رواية

المؤلف: سلمى عبدالهادي

المُدقق اللُغوي: الكاتب بنفسه

اللغة: فصحى

التنسيق الداخلي والإخراج الفني: فريق عمل الدار

تصميم الغُلاف: فريق الدار

سنة النشر: 2019

الحالة: حصريا

رقم الطبعة: 1

رقم الكتاب بالدار: 32

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني2019

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكُتّاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكُتّاب وحدهم المسؤولون عنها.

البريد الإلكتروني:

mailto:kesasandhekayatpub@gmail.com

الموقع الصفحة الجروب

إهداء إلى..

أبي..أمي..

إلى كل إخوتي..

إلى معلمي الذي علَّمني أبجديّة الحروف "حاتم حمدي" ..

إلى النقيب "محمد شبراوي" .

سلمى عبدالهادي (نبذة)

"لعنة الظلام هي من تقتل امرأة من نور"

ظلَّت عيناها تتآلفان رويدًا رويدًا مع الظلام بعد تنهُّدات متقطِّعة بين طياتها ينعقد لسانها. شرعت عروقها تقشعر. ظلت تتحسَّس جسدها الممدود على أرض صلبة، حاولت التشبث بخيط رفيع بيديها الضعيفتين. اتسعت داخلها دائرة الأسئلة بخطوات لاهثة، برق في ذهنها جلبة ضوضاء اصطدمت عيناها به وهو يرتدي جلبابه الاسود خلف دروب الظلام تخدرت قدماها عن المسير حين نظر اليها مطولا بابتسامة باهتة قائلا : اهلا بكِ في عالمي.

كانت أناملها ترتجف على اثر صوتها الصاخب الذي افقدها توازنها وجعلها تسقط ارضا دون أن تدري، هرول الجميع نحوها في فزع وهما يتطلعان على ملامحها الزابلة، كانت تتصبب عرقا والشمس حين ذاك ترسل اشعتها على جميع الطرقات. كان اليوم شديد الحر مشمس.

ظلت تكابر رغم عجز جسدها عن الاستقامة ولكنها ظلت تعافر لعلها تستطيع النهوض بكل قوتها لتحظى بمشهد ساطع في مسلسل درامي لتكون البطلة (رهف عبد الحليم) صاحبة دور متسولة في شارع رقم سبعون. ظلت دموعها تنساب وهي ترتشف فنجان قهوتها فرنسي الماركة وتشاهد فيلمها المفضل للمرة الخامسة عشر وكالعادة تحمل

بيدها علبة المناديل المبللة لتجفف دموعها التي انسابت على وجنتيها المشرقة، وتركت احمرار على عينيها العسليتي اللون.

كان كلما جلس بجانبها رامي انفجر ضحكا على حالتها التي باتت مثيرة للشفقة؛ فهي اعتادت على استنزاف عواطفها الجياشة على رفوف الشفقة الدرامية لتعيد حوارها الصحفي نحو دموعي والحياة!

اكتفت بالنظر إليه وهو يستروح عن نفسه ويحاول إخفاء ضحكاته الصاخبة بوضع يده على ثغره ورمي بصره ناحية التلفاز حاملا معه طبق الفوشار والفستق، وبعض الحلويات الملونة كلما تردد بالنظر إليها وجدها مدققة النظر في احداثه، كانت ملامحها تتغير عقب مشهد.

كانت شقراء الوجه ذات جسد ممشوق وعينان عسليتان وانف منتصبة وأسنان كحبات اللولؤ ناصعة البياض وشعر أسود يشبه جدائل ليل قاتم وابتسامة هادئة وعقل ناضج ولكن أحيانا يشبه عقل طفلة صغيرة اذا تعرضت لموقف سينمائي مؤثر تراها تغيرت ملامحها ..

رفع حاجبيه واضعا احدي يديه على ثغره وكأنه يحبس أنفاسه من صوت الضحك بهستيريا أشار بيده الأخرى الممسكة بطبق الفستق قائلا: خدي وروقي يا روان الله يخليك.

نظرت إليه بنظرات منكسرة وازاحت يده جانبا، ورمت بصرها على المشهد مرة أخرى؛ كانت عيناها تراقب التلفاز بتمعن وكأنها تريد الاسترخاء والبكاء على حالة رهف التي انتهى بها الحال على كرسي هزاز.. حين تعمدت زوجة أبيها على زجها من شرفة المنزل لتجلب لها فستانها المزركش حين انزلق من يدها بدون قصد منها، ظلت تتابع أحداث الحقلة بصمت مطبق وهي تجفف دموعها الغزيرة بين الفنية والأخرى، رن هاتفها الخلوي أمسكت به ونظرت في شاشته تغيرت ملامحها حين وجدت رقمه مسجل على الشاشة قامت بضبطه على الوضع الصامت وعاودت مشاهدة المسلسل وهي ترمي بصرها على الهاتف بين الحين والآخر. أصفر وجهها حين عاود ذات الرقم الاتصال بها مرة ثانية .نظر اليها رامي مستفهما واجاب قائلا: مالك يا روان الظاهر إنك مش حابه تردي على الفون انا ممكن ارد على الاتصال لو تحبي ؟!

ارتجفت أعصابها ونهضت من مقعدها واجابت على سؤال رامي بكلمات مقتضبة قائلة: لا ده اتصال مش مهم، وبعدين دي صديقتي سوزان اللي معايا في الجامعة وأكيد عاوزة تعلي ضغطي ذي كل مرة كفاية عليا المسلسل ومعاناة رهف !.

أومأ رامي برأسه مع ابتسامة خفيفة بخبث وهو يتناول الفستق ويتابع أحداث المسلسل بصمت مطبق .

هرولت روان إلى غرفتها وهي تحمل عبئ العالم على كاهلها، كانت كلما تذكرت دموعه المنهمرة استكانت روحها، واحتضنتها الآم الماضي، وذكريات الألم، ودروب المجهول وضعت كلتا يديها على اذنها لعلها تهدئ الم صوته المتسرب نحو مسمعها، لعلها تستطيع النوم لبرهة بدون أن تغامر وتذهب خفية بوادي الذكريات المرهقة التي خلفها لها قبل رحيله الذي اجهش على دروب السعادة التي احتضنتها بين كفيها على حين غفلة .

قاعة كبيرة جموع خفيرة استراحة للسيدات، وأخرى للرجال توجد ثلاثة مكاتب واحد باتجاه الجنوب واخر بالشمال، والثالث بمنتصف القاعة للسكرتارية، واستراحة على يمين مكتب السكرتارية والأخرى على الشمال تقع تلك القاعة بالدور الثالث في عمارة بشارع عمومي راقي بجواره مطعم فخم وبعض، محلات الملابس الكبيرة ذات الماركة، وكافي شوب مدون عليه الافندية ومكتبة لبيع الكتب التاريخية والعلمية.. ركن سيارته الفخمة ذات اللون الرمادي وفتح الباب وخرج واعاد الضغط على ريموت سيارته الذي يحمله بيده أصدرت السيارة صوت الإشارة.

توجه للأعلى وهو يرتدي بذلة رمادية مع حذاء أسود ملمع من الجلد المقوى دلف إلى القاعة، أشار بيده للحارس ودخل مكتبه الذي على اليمين جلس على مكتبه وتنفس الصعداء، وضع هاتفه الخلوي على المكتب ورمى بصره ناحية النافذة التي تطل على الشارع العمومي واخرج علبه السجائر وقام بإشعال سيجارة.

دلفت السكرتارية إليه ووضعت الملف الأزرق أمامه مرتسمة على ثغرها ابتسامة خفيفة واجابته قائلة: اتفضل يا هاني بيه ده ملف قضية خلود عبد الجليل والسيفي بتاعتها موجود فيه هي اتصلت بحضرتك وأكدت على وصول الملف لأن عندها ظرف طارئ، وطلبت إن حضرتك تأجل معاد الانترفيو لو تسمح يعني . اعتدل في جلسته ورائحة السجائر تفوح من فمه أشار للخارج قائلا: بيده روحي انتي شوفي شغلك وسيبي الملف هنا.

_ وضعت الملف على المكتب وتوجهت نحو الخارج ،واوصدت باب المكتب خلفها .

ارتدت الزي المدرسي UNIFORM (زي موحد) أزرق اللون وحجاب أبيض وكوتشي جلد أبيض اللون وحبيبة وردية اللون المحببة إلى قلبها بعد أن حصلت على قطعة نقدية فئة الخمسة جنيهات من امها تغريد التي طالما دللتها وجعلت منها فتاة محجبة تعشق المدرسة، رغم إنها في الصف الأول الاعدادي، إلا إنها نضجت بعقل راشدة أدركت قيمة التعليم والتعلم، قبعت قبلتها على جبين امها وتوجهت نحو الخارج مع صديقاتها نضال وندى الذين يكبرونها بعام ولكن بالوقت ذاته كانا معها بنفس الصف الدراسي، لم تكن مثلهن تلهو وتلعب كان عقلها مشغول بذلك الوعد الذي قطعته لامها وربضت لتحقيقه مهما كلفها غاليا، كانت نبيها ذكية هادئة تراها طفلة ضعيفة ولكن أحيانا ترى ملامحها البريئة شيطان ثائر إذا حاول أحد الاستهانة بها..

كانت مقبولة الملامح سمراء البشرة كما كان يقال قديما السمار هو نصف الجمال كان عودها رفيع ذات عينان سوداوتان طويلة القامة تجد حنان العالم وكرمه داخلها حين تثق بك تهبك حياتها تكون الصديق الأمثل والأخ الاصدق كانت أحلامها هي أن تطأ قدماها دروب العلم من أوسع أبوابه وان تحصل على وظيفة مرموقة لتخدم الجميع ولو بنصف راتبها بدأت الدراسة كانت تملؤها الإيجابية والحماس. بعد إجازة آخر العام المرهقة التي جعلتها تتوقى لذلك اليوم الذي تعود فيه للمدرسة وتمسك القلم وتتابع الدروس والقراءة وتتجاوب مع معلميها وتتنافس مع زملاءها لتكسب كالعادة التحدي وتخوض مغامرة الفتاة المتفوقة والموهوبة.. كلما أصبحت تحصل على علامات متقدمة.

كانت تخسر أصدقاءها واحدة تلو الأخرى كان ذلك يترك أثره السيئ على روحها التي فاضت عشقا، اعتادت على ممارسة هواياتها بمفردها فهي اصبحت وحيدة رغم ما عانته مع صديقاتها اللذان اتحدا على عدم التحدث معها حين امتلأت قلوبهم الحقد والكره ناحيتها إلا أن ذلك لم يجعلها تتوقف عن متابعة دروسها التي كانت تجلب لها السعادة وتشعرها إنها ستحظى بذلك الحلم الذي طالما تمنته وهو أن تكون صحفية موهوبة تكد وتتعب لتقدم الأفضل واسعة إلى أن تكون جزء من مجتمع متكامل يبحث عن التطور والتنافس نحو الأفضل..

رغم إنها محبة لهم فلم تستطع إخفاء ابتسامتها لهم حين تصطدم عيناها بهم في الصف الدراسي، ولكن أحيانا كرامتنا تكون الأولى بالاهتمام والافضلية، حين يبتعد عنك الجميع لا تهرول خلفهم طالما إنك على صواب وإنك لم تخطئ يوما بحقهم عادت إلى المنزل وهي تغفو على نافذة غد الذي أن طال فهو في صالحها وستكافح حتى تصل إلى حلمها الذي بات شمعة تضيئ حاضرها الذي قضت العتمة على دروبه، ألقت حقيبة ظهرها على الكرسي وقامت بتبديل ملابسها وارتدت تشرت بلوروه أحمر اللون مموج باللون الأبيض وبنطال أسود اللون ناعم الملمس وشبشب بلاستيك، دلفت للمرحاض وبعد أن فرغت من الوضوء ارتدت اسدال أمها وشالها الأسود لتؤدي صلاة الظهر وجوبا، بعد أن فرغت من الصلاة توجهت ناحية المطبخ، فتحت الثلاجة أخرجت طبق البطاطس المقلية وبيض مسلوق وطبق سلطة ووضعتهم على الطاولة، وجلست أمام التلفاز لتشاهد مسلسلها المفضل الذي يبعث السكينة داخلها ويرسم البسمة على وجهها الملائكي سندريلا ..

ظلت تتناول غداءها وهي تتابع المسلسل وتبتسم بين الحين والآخر والسعادة تغمر وجهها .

****

كالعادة خلافات شتى يصل صداها للجيران، حياة اصبحت جحيم؛ لا تفاهم.. ولا تقدير وكل ما كان يصبو إليه هو أن تكون هي الطرف الذي دائما يتنازل عن حقوقه،

ويتجاهل إهماله الذي بات يخنقها نفسيا بدون أن تشتكي.. هرولت نحو غرفتها وهي تصرخ من حنجرتها وتلعن اليوم الذي جمعها به كان خطاؤها الكبير الذي ظل نقطة سوداء تتوسط حياتها.. فتحت خزانتها ووضعت كل ملابسها في الحقيبة، ودموعها تنساب على وجنتيها.

دلف إليها وأمسك بمعصمها وهو يحدثها بنبرة هادئة قائلا: اسمعي يا بنت الناس انا رعيت ربنا فيكي، ولحد دلوقتي مقدر وقفتك جنبي بس لمعلوماتك انا هتجوز يعني هتجوز، ولو انتي باقية على عليا وعلى بنتك خليكي هنا عايشه معانا.

لم تكن صفقة عادلة نظرت إليه بنظرات منكسرة والدموع تنهمر من عينيها بغزارة واجابته بلهجة حادة قائلة: ما انت كل جوازه تقولي كدا يا محمد وبرضوا كنت بقعد وتنفذ كلامك إيه الجديد في كدا ؟!

ـ الدين والشرع حلل للراجل مثنى وثلاث ورباع، وانا بنفذ شرع ربنا يا تغريد وبعدين انا مقصرتش معاكي في حاجة طلباتك انتي وبنتك أوامر ومش مخليكم محتاجين اي حاجة.

ظلت تجفف دموعها المنهمرة، وهي تشهق ألما بين الفنية والأخرى تنهدت قليلا اجابته بلغة حادة:

لا محتاجة كتير يا محمد محتاجة كياني وتقديري واحترامي.. محتاجة إنك تفكر في مستقبل بنتك وتعليمها.. محتاجة إنك تبطل تبيع وتشتري في بنات خلق الله..

الست مش تجارة ذي ما انت فاكر!.

الست دي روح بتحس..

وتحزن وتتألم..

ليها طاقة معينة.. لو الطاقة دي نفذت بتموت وهي على قيد الحياة، بتوصل لمرحلة الهزيمة..

للمرحلة اللي تموت في الثانية الف مرة لما ما تلاقيش جوزها سند..

لما تكون في عينه الجارية اللي بتنفذ طلباته وترعى عياله !.

ظلت تراقب حديثهما خفية وهي تمشي على اصابع قدميها لعلها تهرول نحو الخارج دون أن ينظرها ابوها الذي لم تتغير طباعه الاستبدادية ولم يقدر العبء الذي يحملانه.. كانت عيناها تراقب دموع امها التي انسابت على جسدها كالنار المحرقة التي ابت أن تنطفأ كانت تسير بخطوات سريعة وهي تفكر في حالة امها التي تعاني من مرض السكري فلن تحتمل أعصابها أن تراها تغوص في غيبوبة سكري أخرى مثل ما حدث من قبل، كانت تتطلع لغد وهي تحمل داخلها صراع العالم بين حاضر يبطأ خطواتها نحو حلمها المزعوم، وبين مستقبل تجهل فيه دروبه الخفية.

بعد ١٢ ساعة

حاولت أن تدقق النظر في الكتاب الذي وجدته موضوع على حجر ضخم في ذلك الكهف المظلم الذي دلفت إليه مع تلك الشمعة التي تحملها بيدها لتنير لها الطريق لعلها تستطيع التمكن من البحث عنه والتحدث إليه لبرهة..

حين وطأة قدماها عتبة الكهف تعددت الطرقات بداخله وأصبح صوت أنفاسها يصل صداه بكل ركن اضطربت أعصابها حين أحسن بتلك الأنفاس التي تسربت إلى اذنها اليمنى وتركت هواء رطب بعث الخوف بين أعماقها، وجهت ضوء الشمعة الخافت بجانبها لعلها تتمكن من رؤية تلك الأنفاس ولكن لم تجد شيئا تنهدت قليلا واغمضت عيناها لبرهة، وتنفست الصعداء وأكملت طريقها نحو الداخل وهي تحمل الكتاب بيدها بين طريق مجهولة قادتها للهاوية اصطدمت عيناها به وهو يرتدي جلبابه الأسود وقباعة سوداء ويشير بيديه إليها لعلها تكمل طريقها خلفه، ظلت تدقق النظر في وجهه لعلها تستطع رؤية ملامحه، ولكن ابتلعه الظلام قبل أن تبصر عيناها وجهه فاقت مذعورة على صوت أمها تغريد منادية: قومي يا تاليا الساعة دلوقتي ٥ الصبح عشان تلحقي صلاة الفجر يا حبيبتي وكمان عشان المدرسة.

كانت عيناها تراقب الضوء المنبعث من خلف النافذة وتتثاوب بين الحين والآخر أزاحت الغطاء عنها وارتدت الشبشب البلاستيكي، وتوجهت ناحية المرحاض وهي ترمي بصرها هنا وهناك وكأنها تحاول أن تستوعب المنزل الذي بات غير واضح الرؤية حين أثقل النعاس عينيها، خرجت من المرحاض بعد دقائق توجهت نحو صنوبر الماء الذي

يقع بالجهة المقابلة للمرحاض تعلوه مرآة الحائط بعد أن فرغت من وضوئها، ربضت أمام المرآة لبرهة وهي تتأمل وتدقق النظر في وجهها الشاحب وتلك الندية الزرقاء التي تعتلي خدها الأيمن..

شردت لبرهة وكأنها تستعيد ما حدث معها امس فلم تكن تلك الندبة موجودة منذ أن خلدت الى النوم، لم تلقي بالا لها وتوجهت ناحية غرفتها قامت بكي ثوبها المدرسي ووضعت الكتب الدراسية طبقا لجدول الحصص اليومي.

بعدها توجهت لأداء فريضة الفجر والضحى وارتدت بذلتها والكوتشي الجلد ومصروفها اليومي الذي اعتادت امها على وضعة لها في غرفتها أعلى المكتب الخاص بها ..وتوجهت للخارج مرتدية حقيبة ظهرها، وكالعادة ودعت امها بقبلة على جبينها مع ابتسامة خفيفة وتوجهت نحو المدرسة لتبدأ يومها الدراسي مثل كل مرة .

في عالمنا هذا يوجد الكثير من الأشياء التي تعيش معنا دون أن تبصرها اعيننا الآدمية لا أدري هل هذه حكمة القدر التي فصلت بيننا وبين كل الأشياء الأخرى التي تعكر صفو الإنسان وقد تعرضه للإيذاء أحيانا لذلك حجب عنا كل ما نراه غير مألوف، او قد يكون بهيئة أخرى لا تشبه ملامحنا البشرية.

كان عقلي بذاك الوادي الذي كلما حاولت الإصغاء مع من حولي رحل عقلي بين أروقة الظلام دون أن أدري لم تعد أقدامي تحملني، فقط صوت سكان ذلك العالم يتسرب إلى مسمعي شيئا فشيئا حتى اصبحت أتجول بين حياتهما وجها لوجه !.

بعد مرور ٤٨ ساعة

كانت كلما دققت امها النظر بوجهها الشاحب انتابها شعور بالقلق، وحين تسألها عن حالتها الصحية وهل هناك شيئا يؤلمها تجيبها بكلمات متقاطعة انا بخير فقط ضغط الدراسة يرهق عقلي ويجعلني أتناسى كل دروسي، حتى أصبح عقلي فاتر، فقط احتاج للراحة حتى أعود يقظة واستعيد طاقتي لعلي احصد درجات مميزة مثل كل عام .

ترتسم امها تغريد ابتسامة عريضة بعد أن احتضنها واردفت قائلة: انتي عارفه يا تاليا رغم كل المعاناة اللي عشتها في حياتي إلا إني ربنا عوضني بأجمل نعمة في حياتي عوضني بيكي بالسعادة اللي لما أبص في عنيكي بكون اكتر ام محظوظة قدرت تنجح في إنها تربيك وتعلمك وبإذن الله معاكي لآخر المشوار لما اشوفك صحفية اد الدنيا..

دنت من امها مع ابتسامة خفيفة وطبعت قبلتها على يديها واضعة رأسها على فخذها وهي تبتسم لهم بين الفنية والأخرى وهما يجلسون بجانبها بدون أن ترى ملامحهم الخفية .

كانت تسير بخطوات سريعة وهي تنظر في ساعة يدها زهرية اللون، وترتدي نظارتها السوداء وجيبة يدها وردية اللون وجيبة سوداء وتشيرت أبيض اللون وحجاب أسود، وكوتشي جلد زهري اللون واضعة أحمر الشفاه الذي يضفي الجمال على ثغرها، ووجهها الأشقر وعيناها العسليتان كانت تسير بخطوات متباطئة بعد أن خرجت من العمارة

الكائنة بالتجمع الخامس، يليها محل المثلجات ومحل البيتزا الشهير لصاحبه (الشيف خالد)، ومحل مجوهرات الملكة لصاحبه الصايغ (احمد مكي)، وعلى اليسار محل قطع فنية واثرية للخواجة أبنوب، اشارت بيدها ناحية (الباص) المتوجه إلى المحطة وهي لاهثة الأنفاس، ويبدو على ملامحها علامات الضيق ..

فهي اعتادت على التأخر بسبب بعد الجامعة عن السكن الخاص بها، كما أنها اعتادت على تفويت المحاضرة الأولى مثل كل مرة فلم يكن الوقت يسعفها على اللحاق بها، وأيضا ليس هناك داعي أن تأخذ سكن قريب من الجامعة مع صديقاتها لأن ذلك يتعارض مع رغبة أبوها الذي دائما ما يقلق عليها بدون داعي، بعد عدة دقائق تمكنت من وجود باص دلفت داخله، وجلست على المقعد الذي يلي السائق كانت على عجل من أمرها فهي ليس باستطاعتها أن تتأخر أكثر من ذلك، كان الوقت يمر بسرعة البرق وسائق الباص يعلو صوته المتعجرف كل النوافذ وهو يشير بيديه ويصعق من حنجرته مع أصحاب السيارات الصغيرة والأجرة التي تعترض طريقه ..

كان الشارع في تكدس مروري عتيق وكما هو معروف أن أيام الصيف شديدة الحر كما إنها تجعل الجميع في حالة ضيق وزجر.

ظلت تتأمل الشوارع والمارين من نافذة الباص التي بجوارها على يسارها رن هاتفها الخلوي حاولت البحث عنه داخل حقيبتها، اصطدمت يدها به حاولت إخراجه .. واجابت بأحبال صوتية مختنقة قائلة: الووووو صباح الورد يا سوزان .

ـ إيه يا بنتي انتي دايما متأخرة كدا المحاضرة الأولى بدأت !.

ـ معلش يا سوزان والله انا موعودة كل مرة كدا اعمل إيه نصيبي كدا اني ما احضرهاش..

ـ طيب انتي فين كدا..

انا حاليا في السكة يعني خمس دقائق واكون عندك .

ـ خلاص يا حبيبتي خلي بالك من نفسك يا روان وانا هستنا كي في الكافيتريا هناك .

ـ اوكي يا سوزان باااااااي يا قلبي .

ـ باااااااي يا حبيبتي .

أغلقت هاتفها الخلوي ووضعته داخل حقيبتها واخرجت لبان كورتس وظلت تمضغه حتى تحافظ على جمال اسنانها ناصعة البياض، بعد دقائق وقع الباص ونزل جميع الركاب، وضعت حقيبتها في كتفها وتوجهت مسرعة نحو باب الجامعة من الرصيف على جهة اليسار، أخرجت بطاقة هويتها تحقق منها الأمن الموجود على البوابة، ودلفت للداخل نحو الكافتيريا ..

ظلت ترمي بصرها هنا وهناك على كل طاولة فلم تجد سوزان جلست على طاولة واخرجت هاتفها الخلوي وعاودت الاتصال بصديقتها سوزان، مدت يدها وقامت بارتشاف القليل من الماء بعد أن اقلعت نظارتها الشمسية اتكأت على الكرسي وهو شاردة الذهن بعالمها الذي اعتادت على الذهاب اليه .

عندما حل المساء جلس الجميع على الطاولة يتبادلون الحديث الأب والأم والأخوة ظل كل منهم يسرد أحداث يومه على حده وهما يضحكون بهستيريا.. دلف إليهم بعد أن وضع حقيبة يده الجلد جانبا وجلس على الطاولة كانت ملامحه توحي بالضيق وكأنه غير متزن ذهنيا. لاحظت العائلة أن هناك شيئا ما يزعج هاني ولكن اعتادوا على طباعه التي لن تتغير فهو دائما ما يخفي كل ما يزعجه دون أن يشتكي ما بداخله لأي منهم، مد يده التي يحمل بها الشوكة واخذ قطعة لحم مشوي وظل يقطع بالسكينة ويأكل في هدوء كان يبدو عليه أن يخوض صراع بصمت لقد اعتاد على حبس آلامه داخله دون أن يتألم لذلك أصبح جسده نحيل للغاية قضم عدة قضمات ثم ملعقتان أرز وحمد الله وتوجه نحو غرفته وأغلق الباب.

كان كلا منهم يراقبه، ويكتمان خوفهما داخل دروب من علامات الاستفهام التي ليست لها إجابات هو هاني هيفضل لأمتي كدا يا رجاء ؟!

_ انت عارف يا فريد أن هاني بيعمل اللي في دماغه وان ده طبعه وأظن أنه واخد طبع أبوه !.

مهما كانت مشاكله المفروض يقولنا عليها يمكن نقدم ليه حلول وبعدين انا كنت كدا أيام شبابي لكن دلوقتي لو خبيت عنك حاجة مش تتهاوني في المحاكمة العسكرية اللي طبقيها عليا سموك .

_ هو حضرتك بتتريق ولا إيه، ما هو لو انا ما اخدتش موقف ساعتها كنت هتتمادى في تصرفاتك الغامضة وكمان تزود قلقي عليك.

_ تصدق يا بابا انا اول مرة اشوف هاني مخنوق كدا الظاهر إن عنده مشاكل في شغله لأن شغل القانون ده صعب جدا ويحرق الأعصاب مع تزايد عدد قضايا القتل والاغتصاب وغيرها وبتأذيه نفسيا قبل جسديا.

_ انا كلمته وقولتله يريح دماغه شوية من شغل المكتب القضايا ويسافر اسبوع كدا لشرم الشيخ يريح أعصابه فيهم هو دماغه متصلبة وينفذ اللي في دماغه !.

– يا رامي ياريت تحاول تكلمه وتقنعه بطريقتك يمكن يقتنع ويغير وجهة نظره .

_ انا حاسة ان هاني في شيء تاني غير شغله انا لاحظت عليه اكتر من مرة بيسهر على المواقع الإلكترونية كتير وكأن في حاجة شغلاه الموضوع مش موضوع شغل ولا قضايا يا فريد .

_ انا بتفق مع رأي ماما فعلا هاني زعله ده مش متعلق بالشغل؛ ثم أن تصرفاته غريبة شوية بيميل للعزلة ودايما شارد وساعات يبتسم للفون وساعات ينزعج في حاجة غريبة بتحصل معاه.

_عندك حق يا سالي انا لازم أكلمه واعرف إيه اللي مضايقه كدا يمكن يقولنا السبب .

_ هي روان لسه نائمة ولا إيه يا سالي ؟!

_ أيوة يا بابا جات متأخرة النها ردة بسبب صعوبة المواصلات يدوبك غيرت هدومها وراحت في النوم .

–ربنا يوفقها ويقويها دراسة أدب التاريخ شديد شوية ربنا يعينها ويسهل امورها انا هدخل اريح شوية تصبحوا على خير .

_ اتفضل يا بابا وحضرتك من أهل الخير.

تزينت وارتدت أجمل ما لديها من الثياب كان ضجيج الطبول يرتفع شيئا فشيئا، ربضت أمام المرآة لبضعة دقائق وهي تضع الكحل في عينيها السوداوين، واحمر الشفاه وبعض مساحيق الزينة البودرة ارتدت قلادتها الذهبية وخلخالها أبيض اللون، وحذاءها ذات الكعب العالي وحجابها المزركش أصفر اللون الذي يضفي جمالا على جمالها مع فستانها المزركش ذات اللون الفضي الغامق المزين بحلقات ملونة تلمع في أشعة الشمس الذهبية، وضعت المون كير ذات اللون الوردي وتوجهت للخارج كان الجميع يشير إليها بنظرات الاحتفاء وجمالها الخلاب وقامتها الطويلة وجسدها الممشوق جعل كل المعا زيم يشهد لها بأنها حورية..

ظلت تشرف على الطعام وتذهب يمينا ويسارا لتتحرى أن كل شيئا على ما يرام، كانت تسعى لأن تقدم الخدمات لجميع المعا زيم كانت الابتسامة لا تفارق ثغرها، تزاحم الجميع على صوت السيارات القادمة التي وقفت أمام المنزل كانت عيناها تتأمله من بين العامة وهو جالس داخل السيارة مرتديا عباءته بيضاء اللون والجميع يصفق ويحتضنه

بسعادة عارمة وهم يهنئونه والسعادة تغمر وجهه الأسمر كان طويل القامة مقبول الهيئة حسن المظهر..

كانت عيناها تتأمله بلهفة وهي تواري وجهها خوفا من أن تهرب دمعة حبستها حين نزل من السيارة واستدار نحو الناحية الأخرى أمسك يدها لتخرج من السيارة بفستان زفافها الأبيض..

كانت تتأملهما سويا والدموع تنهمر من عينيها، حين وطأة اقدامهما أبواب المنزل والجميع يزفونهما اقتربت منه واحتضنته..– وهمست بإذنه قائلة: شوفت اخلاص اكتر من كدا يا محمد بزف جوزي لواحدة تانية!

ارتسم على ثغره ابتسامة باهتة ونظر إليها بنظرات الخجل، وسريعا ما رمى بصره نحو زوجته الأخرى سيهام .

هرولت تغريد نحو غرفتها وهي تعتصر الدمع في وعاء الخيبة كانت تكره انكسارها الذي جعلها ينظر إليها بعين الرأفة؛ كم عانت بكل زواج له.. تلك هي المرة الثالثة التي تعمد فيها كسر قلبها الذي أحبه ظلت تحتضن وسادتها ودموعها تنساب على وجنتيها.

دلفت إليها ابنتها تاليا، لتخبرها أن المعا زيم يسألون عنها، اعتدلت في جلستها على سريرها وظلت تجفف دموعها بواسطة منديل ورقية٥ تنهدت وتنفست الصعداء وقامت بغسل وجهها ببعض الماء الساخن وأعادت وخرجت مسرعة بابتسامة باهتة على ثغرها.

أحيانا نتصنع الأفعال حتى نخفي عن الجميع ما نشعر به من ضعف، قد يكون ذلك لأجل من احببناهم بصدق، لأجل أن نفي بالوعد الذي قطعناه على كاهلنا، لأجل أن نرى الابتسامة على ملامحهم..

لا يهم بماذا نشعر نحن. يكفي أن نراهم سعداء ولو كان على حساب ارواحنا التي أدمنت الانين؛ كم مرة عانت أرواحنا الألم وتجرعته رغم ضعفها الذي بات ندبة محفورة على الجبين!.

نختار الطريق الأصعب ونقامر الآم الروح ونبتسم رغم الألم مهما نتصنع الأفعال ستعاني ارواحنا ألم التضحية حين تخلو بين ليل قاتم واحلام وردية..

حين يسكن كل شيئا في الليل تنساب الذاكرة نحو دروب الفوضى لتغفو أرواحنا حافية تعاني سكرات الموت ببطء، وهي تشاهد شريط عمرها يعيد الألم كلما همت نحو الوسادة لتنال قسطا ولو لبرهة من راحة أبدية تفتقد لها..

يعيش غيرنا عبر الأحلام التي كد كثيرا لأن يحصل عليها ونحن نحملها بين كفينا ونقدمها بابتسامة باهتة، لعلنا نحظى برؤية سعادتهم مرسومة على ملامحهم السمراء!.

ليس تنازل بل اكتفاء، حبا بالحياة ..

عندما تعشق لن تتردد قدماك من أن تطأ دروب المستحيل ستطأ قدماك دروب الخطر لتنقذ المتيم به عشقا ليرتشف قطرة الخلود لتراه مبتسما وانت تعاني بصوت مكبوت هذا هو من احب بصدق، ومن كان على الوعد، ومن حفظ العهد لن يخون !.

كانت كلما ربضت أمام المرآة تأملت ملامحها الزابلة، رغم أن عمرها أصبح يناهز الثلاثون إلا إنها لم تفتقد ذلك الأمل الذي مازال ينير عتمة واقعها الذي درج اسمها بقائمة العوانس كانت مهوسة بالفستان الأبيض وقصص الخيال الأسطورية التي تنهي أفلامها السينمائية بزواج الأمير من اميرته بعد أن ترتشف قبلة الخلود لتكون خالدة معه للأبد، كلما خلدت الى سريرها غاصت بأحلام عالمها الخيالي نحو قصور وهمية تبطئ من لهيب الانتظار الذي دنا من ارواحنا بخيط رفيع وممحاة تمسح جذور أحلام نبتت وجفت أوراقها مع الخريف؛ وتساقطت إثر عاصفة رعدية أغرقت المدينة!.

اعتادت على الاستيقاظ من غفوتها إثر لتر الماء البارد الذي يلطم جسدها الممدود بين رفوف المطبخ وهي تناديها بصوت متعجرف يشبه أصوات البائعين الجائلين كل صباح قائلة: قومي يا ست الحسن الشمس طلعت يلا امسحي المطبخ وروقي الشقة وماتنسيش تكنسي قبل ما تمسحي وإلا هخلي يومك أسود: اعتدلت من فراشها وظلت تتحسس ثيابها المبللة، وهي تنظر إلى زوجة أبوها بنظرات منكسرة وتوجهت ناحية الخزانة الخشبية المكونة من رف واحد قامت بفتحها واخرجت قميص أسود وجيبة رمادية اللون وبدلت ثيابها وهي تمسح على جبينها بكلتا يديها ببعض الماء الساخن توجهت ناحية المطبخ وقامت بإشعال النار على القليل من الحليب ووضعته في كاسين ووضعت بجواره قطع الخبز الساخن وتوجهت بهم ناحية غرفة ابوها المعلم محمد الذي هو الآن طريح فراشه..

كانت تلك الكوابيس ترهق اوصالها أصبح عقلها عقيم فاتر كنت ترى عائلتها تنهار أمام عينيها وهي ترى امها تعاني وهي تقف في المنتصف دون أن تفعل شيئا كانت الهواجس تستنزف طاقتها الإيجابية التي بدأت للأسوأ مما جعلها تغوص بوادي الفوضى ودروب مجهولة..

انتفضت من سريرها ودلفت إلى غرفة امها تغريد وارتمت بحضنها واعصابها ترتجف وكأنها تحاول الاختباء بين أحضانها من شيئا تجهله.. ظلت تغمض عينيها بقوة وهي لاهثة الأنفاس وكأنها تهرب من عالم فرض عليها صراع بدون أن تحمل سيف الدفاع وهي تجهل القوة التي تطاردها ظلت امها تضع يدها على رأسها وتردد بعض الآيات القرآنية إلى أن أثقل النعاس عيناها قامت امها بوضع الغطاء على جسدها وهي تنظر إليها بنظرات القلق والخوف على ملامحها الزابلة ووجهها أصفر اللون .

على عتبات الأماني تغرد الروح نحو أحلامها وهي تخطو خطا واهنة، وتسبح عبر دروب المستقبل واروقة الحنين للماضي ، والتطلع نحو المستقبل.. تبدو الحياة كقفص ذهبي حين تحصل على ما تريد تظل روحك تجوب كل الدروب وهي تغمرها السعادة، وتقضي وقتها تتأمل ذلك الإرث الذي كان عوضا لها عن انين اشبعها ألما، وبعدها تخوض صراع الحياة النزيه لتحصل على كل أنواع السعادة، فدائما النفس تسعى للمزيد لأجل الركض نحو الأكثر والاغنى، واذا نفذت طاقتها وفشلت في تحقيق الأحلام تلوم وتندب حظها وتسارع نحو دروب الهلاك المجازفة ..

كل منا له مدينة أحلام إن شاء هرول إليها.

بعد مرور عامان

غرفة محدودة المساحة على اليمين شرفة صغيرة وسرير ومنضدة صغيرة كانت عيناها تراقبهم خفيه وهم يرتدون قفازات طبية وكمامات، ويترددون عليها بابتسامة هادئة، كانت ملابسهم (ثياب موحدة) كانت تتحسس نبض اوصالها الذي غدى يهرب شيئا فشيئا من وريدها حتى التهمته البرودة التي أثقلت قدماها عن الحركة، أمسك بمعصمها وهو يتأمل ملامحها الزابلة وعيناه التي اهلكها السهر تكشف تفاصيل روحه المبعثرة؛ كانت تنتظر اللحظة التي يدلفون إليها مع كرسي متحرك ليأخذوها عنوة من بين يديه، ظل تنظر لساعة يده التي يرتديها وهي ترمي بصرها هنا وهناك مرتجفة الأعصاب، وقلب مضطرب تطلع لمصير مجهول طرأ على حياتها، وهي تغفو بين دروب الحاضر ..

كان كلما نظرت إليه ارتسم على ثغره ابتسامته الزائفة لعله يطفئ لهيب قلبه المشتعل خوفا على فقدانها الذي اصبح عدوه اللدود..

كانت عيناه تراها ريثما يرمي بصره خلف النافذة التي استطاعت يداه أن تتركها بوادي الموتى لتخوض صراع آخر مع مرضها الفتاك لم تستطع الأدوية والمسكنات أن تجدي نفعا، مازالت عيناه تراه بين جدران المنزل وبين مقتنياته كان يرتشف مشروبه المفضل ويعود من وكر الرزيلة كل صباح وهو فاقد للوعي تقوم بوضع ساعديه على كتفها وتحاول

وضعه على فراشه، ويفوق على نحيبها الذي يتسرب إلى مسمعه ليجد نفسه ملقى على الأرض بجانب الفوضى العارمة في غرفة نومه؛ لم تكن هي الشبح وإنما هي تسنيم التي اعتاد على التحدث إليها كل مساء ليغفو على صوتها العذب متناسيا ذلك الجرم الذي لازمه طوال حياته !.

أغلق التلفاز حين انتهت حلقة مسلسل الرعب الذي اعتاد على سماعه فهو يعشق المسلسلات السينمائية المفعمة بالتشويق والمغامرة والفانتازيا ولكن لم تغب عن باله تلك الطفلة حنين صاحبة الصوت العذب الذي جعله يتسرب إلى مسمعه بين أروقة الظلام في سكون الليل كان يتساءل عن سبب ذلك هل لأنه تأثر بدور تلك الفتاة التي أصبحت ضحية عمها الغادر الذي استباح دمها طمعا في ثروة أبوها الذي توفى إثر حادث مروع وترك ثروته التي تقدر بالملايين لابنته حنين ؟.

تفوق من نومها العميق وتعيد ترتيب الغرفة التي خلفها زوجها السكير، لتذهب إلى المطبخ وتعد له فنجان قهوته مع فطار خفيف المكون من قطع الجبن وبيض بالبستيرما، ولنشون وزيتون والخبز وتذهب إلى عملها لتبدأ يومها على معدة فارغة؛ لقد اعتادت على التقليل من وجبة الفطار واكتفت بارتشاف فنجان قهوة والقليل من الخبز المجفف لتحصل على جسد ممشوق عوضا عن جسدها المترهل..

الذي دائما ما كان ينعتها بالسمينة عندما يشتد الخلاف بينهما وكالعادة ترتدي

عباءتها وحذاء جلد قصير الكعب أسود اللون وحقيبة يدها البيضاء وحجابها تركوا زي اللون وتذهب إلى عملها كموظفة في إحدى الجمعيات الخيرية الكائنة بذات الحي .. ظلت تطارد مشقة الحياة وتضاريس الزمن تعتلي صفحة الجبين، كانت ترمي بصرها هنا وهناك بابتسامة خفيفة لاحت بيدها لعم خليل صاحب مطعم فلفلة للأكلات الشعبية قائلة: يا صباح الورد يا عم خليل والنبي ما تنساش تعمل حسابي في الخبز والطعمية انا هعدي عليك اخدهم بعد الشغل.

_ يا صباح الورد يا أستاذة ريهام .. تؤمري يا بنت الأصول.

_ منتحر مش منك يا راجل يا طيب.

اكملت طريقها نحو محطة الحافلات بخطوات لاهثة برق في ذهنها رجولته المفقودة تحول بصرها نحو تلك السيدة العجوز التي تربض أمام محل المأكولات الذي على يمين محطة الباص وهي تمد يدها إلى الفتى الذي يقف بالداخل خلف النوافذ الزجاجية لعله يعطيها القليل منها لسد رمقها..

يبدو على حالتها الريبة والفقر والاحتياج تنهدت قليلا، وضعت يدها على حقيبتها وجلست بالمقعد الأمامي الذي يلي السائق وهي ترمي بصرها على ذات المحل لعلها تتمكن من رؤية العجوز وما حل بها ؛ كانت الجمعية تبعد مسافة نصف ساعة عن الحارة التي تقطن بها فهي جمعية خيرية تهتم للفقراء وتقدم الدعم لهم بمبالغ نقدية صغيرة وبعض المعونات التي تحتوي على سلعة غذائية تعينهم على الحياة وعن الغلاء

الذي أثقل كاهلهم كانت هذه الجمعيات يمولها أصحاب الوظائف المرموقة ورجال الأعمال..

لم يكن حالها ميسور فهي فلم تملك سوى مؤهلها المتوسط وزوجها الذي يعمل محاسب بأحدي البنوك وطفلان إحداهما بالصف الخامس الابتدائي والأخرى ندى بالصف الأول الاعدادي.. بعد أن أوقف السائق الباص أخرجت خمسة جنيهات من حقيبة يدها. قائلة: اتفضل الأجرة يا اسطى ..

مد يده وقام بأخذها واعطى لها ثلاثة جنيهات، نزلت من الباص ووضعت حقيبة يدها في كتفها وتوجهت إلى الناحية الأخرى من الرصيف التي تكون بها الجمعية الخيرية يوجد بجانبها عمارة مكونة من خمسة طوابق الطابق الأول؛ به مبنى الجمعية الخيرية وهي مساحة شاسعة بها مكتب وعلى اليمين غرفتين الغرفة الأولى بها مكتبين للموظفين يستقبلون فيه طلبات القروض والمعونات لأصحاب المشاريع الصغيرة ويتم سدادها خلال عامين بدون أرباح، والثانية يوجد بها شئون العاملين يجلس بداخلها موظف وهو بمثابة المدير المتطوع الذي يشرف على عمل الجمعية ويستلم من أصحاب النفوذ المبالغ التي يوردونها لتخدم احتياجات الفقراء.

يوجد على الشمال بوفيه لعمل الشاي او القهوة للموظفات ومرحاض صغير .

دلفت إلى الداخل وهي مرتسمة على ثغرها ابتسامة خفيفة وضعت حقيبتها على المكتب وجلست على المكتب المواجه في الخارج الخاص بالسكرتارية، اعادت ترتيب

المكتب ارتشفت القليل من الماء نادت على وليد صاحب البوفيه واردفت قائلة: والنبي يا وليد عاوزة كباية قهوة على الريحة كدا وماتنساش سكر خفيف ذي كل مرة الله يباركلك.

_ أومأ وليد برأسه مع ابتسامة خفيفة قائلا: حاضر يا أستاذة ريهام دقائق وتكون عند حضرتك .

_ تسلم ايديك يا وليد ربنا يبارك لك.

دلف وليد إلى المطبخ وهي رمت بصرها على ذات الملفات والأوراق الملقاة أمامها على المكتب وهي تنظر إليهم وتتأمل كل ملف على حده .. إلى أن دلف إليها مكظوم الغيظ وتبدو على ملامحه الاستياء أصدر صوت بيده على المكتب أمامها حتى تنتبه لوجوده وتحدث إليها بلهجة حادة قائلا :

إيه يا مدام هو انتي كل مرة تتعبيني معاكي كدا ؟!

_ ارتجفت أعصابها جف ريقها لم تستطع التفوه بكلمة سوى إنها تتأمل ملامحه التي يبدو عليها الغضب انتفضت من مقعدها وامسكت بمعصمه وهي تجره للخارج وترمي بصرها هنا وهناك خوفا من ينتبه لها زميلاتها بالجمعية، قطعت صمتها الطويل قائلة: اسمعني يا أسامة بيه انا منظري هنا هيبقى وحش لو حد شافك عندي في المكتب وبعدين ما تنساش ان لو حد عرف شغلنا هنروح في داهية روح على شغلك دلوقتي وانا هتصل بيك.

أزاح يدها بعيدا ونظر إليها بنظرات غاضبة مهددا: عارفة يا ريهام لو كلامك طلع كدب انتي عارفه انا هعمل فيكي إيه ؟

_ انا عارفه يا أسامة بيه انت هتقولي كفاية اللي حصلي بسببك.. صدقني المرة دي مش هكذب عليك بس ياريت ما تجيش هنا تاني .

_ انا هستني اتصالك النها ردة وماتنسيش تزودي الطلبية لحسن وامي لسجنك وساعتها وريني مين هيخرجك منها ركب سيارته الفخمة وتوجه مسرعا.. كانت عيناها تراقبه إلى أن اختفت سيارته عن بصرها تنفست الصعداء وتوجهت ودلفت إلى مكتبها وهي ترتجف أعصابها ظلت شاردة لبرهة تذكرته حين لجأت إليه وربضت على ركبتيها وهي تتوسل إليه لعله يعطيها مبلغ من المال لتدفع اقساط الشقة المتراكمة منذ ثلاثة أشهر ولكن لم تحرك ساكنا كان يرتشف سيجارته وهو يجلس على كرسيه الهزاز وينظر إليها بنظراته الشهوانية قائلا:

_ اسمعي يا ريهام انا ممكن اساعدك فعلا واعيشك ملكة بس كل شيء ليه حساب يعني انتي كمان لازم تدفعي..

قامت من جلستها والدموع تنهمر من عينيها الزر قويتان قائلة: انا تحت امرك يا معلم قولي طلباتك وانا سداده لو على إيصال الأمانة انا جاهزة امضيه بس والنبي يا معلم انا في عرضك انا محتاجة بس مبلغ صغير ادفع بيه قسط الشقة وإلا هنبات انا وأولادي في الشارع !.

تقهقه ضحكا واعتدل في جلسته وزوبعة الدخان المنبعثة من فمه تترك هالة في المكان واردف قائلا: انتي لازم تشتغلي معانا وتتقربي من الافندية بتوع المدارس لم يكن امامها خيار آخر سوى الامتثال لرغبته كانت تعلم زوجها السكير لن يعينها على أعباء الحياة ولن يسدد الأقساط المتأخرة وهو بذات الوقت ينفق كل مرتبه على مشروبه الخاص، جففت دموعها بمنديل ورقي مبلل واخرجت وغيرها وقطعت صمتها الطويل اومأت برأسها على الموافقة مقابل أن تحصل على خمسة ورقات نقدية فئة المائة جنيهات لن تهدأ تلك العاصفة الرعدية التي تغوص داخلها فمازالت تعاني سوء فعلتها منذ أن تزوجت زوج اختها تسنيم التي لم تتوانى عن زيارتها بمنتصف الليل من ذات النافذة .

بعد مرور ٣ ايام

اعتدلت في جلستها وهي تضع سماعة الأذان وتنغمس في عالمها الخاص على إيقاع نغم الأغنية الشهيرة التي تعشقها في خلوتها مع جهازها على السوشيل ميديا فلم تكن تحظى الابتسامة والرفاهية سوى بالتحدث إليه كل مساء كانت متمردة غيورة ذات طباع استبدادية لم تتوانى عن القيام بالمشاجرات لعلها تختبر حبه الذي تعمد كل مرة أن يخفيه عنها ويجعلها متلهفة لترى غيرته ولو مرة واحدة حتى يهدأ قلبها المستبد.. نعم الغريب أن جنس حواء صعب الطباع لا أدري هل هذه فطرة ربانية أم أنهم يتصنعون

الأفعال التي قد تصل حد الجنون حين تشعر بأنك ترمي بصرك إلى احدهم تصبح فاقدا للعقل لذاك النضج الذي جعلها في هدوء ورزينة يصبح ذلك العقل الهادئ والناضج يتحول إلى كتلة نارية مهاجمة تحرق الأخضر واليابس تثور على كل شيء لن تحظى بفرصة ثانية وستخصر تلك الثقة التي وهبتك إياها اذا اكتشفت إنك خائن لذاك العهد لن تصفح عنك مهما كثرت براهينك..

تبدو كغيمة جليدية تظلل حياتك بألوان السعادة الزهرية كن على العهد اذا وهبتك اهتمامها وقلبها فأعلم إنك على خطوط النجاح ستحظى بدعم لا يضاهيه العالم لن تخسر هويتك ولن تسلك قدماك دروب الهزيمة ستكون مرشدك الذي لا يضل الذي لا يبخل ستدعمك حتى تكون ذات تاريخ لن تعبث بك أروقة الفشل ولن تتركك تواجه الهزيمة ستكون عونك الذي لا يخون..

رغم اننا نفتقد لتلك الأيد التي تحنو علينا إلا أن تلك الطاقة الخفية التي وهبها اله لكل الخلائق تكون مركز العزيمة حين ينطفئ بريق الأشياء من حولك ستبدأ رحلتك بمخزونك الذي لا ينفذ بذاك الإيمان الذي هو ثمرة العبادة والطاعة لله بذاك القلب الذي يخاف الله ويطلب الثبات بتلك الروح المبعثرة التي مهما كثر آنينها إلا إنها تنهض لتخوض صراع الحياة وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة على عتبات الأماني..

كن محبا للحياة رغم آلامها لن تحظى بنجاح بسعادة إلا اذا خضت اختبار، الذات اختبار، الكرامة اختبار، الصبر والتحمل والكد والتعب والركض لأبعد حدود لتلك

الارض التي يتقاتل الملايين ليبقى البقاء للأقوى، دفاعي عن السعادة، عن ذاتي هو أقصى دروب النجاح هو الفلاح هو الحلم الذي يغفو على نافذة الأمل كل صباح ليعيد بسمتي على ملامحي الزابلة مهما ترك أمسي ندباته وخطوطه العريضة على تجاعيد، سأحاول وسيكون حلمي بين كفي ذات يوم لن انهزم..

حين سطر كلماته هذه ابتسمت وهي تنظر إليه بنظرات الفخر التي اعتاد على رؤيتها في عيناها العسليتان، كان يعشق تلك الابتسامة التي تضفي جمالا على وجهها الأشقر ظل يتأملها وهو يغفو على نافذة الحلم ليحلق بعيدا حلم طفيف يدنو منه كلما تحدث إليها بواسطة كاميرا الكمبيوتر لم تكن سوى ملاك لا ينتمي لكوكب الأرض فهي النور الذي وجد على ظهر البسيطة وجعله يفقد عقله كلما تحدث إليها .

سألته مستفهمة:

_ هو انت كل مرة هتبصلي كدا يا مجدي ؟!

_ حرام عليكي يا روان يعني انتي اصلا رافضة تقابليني وكمان مستكترة عليا اني ابصلك؟!

_ يعني احنا هنقضيها نظرات يا مجدي خلينا نقول حاجة مفيدة .

_حاضر يا روان اتكلمي انا سامعك .

_قولي بقا عملت إيه في موضوع مسابقة الشعر اللي قدمت فيها .

_لسه مفيش جديد .. بس متفائل للنهاية كفاية إنك في حياتي يا روان .

_ هاااااااااا وبعدين هات من الاخر لأن ورا الكلام الحلو ده اكيد فيه طلب .

_ هو انتي دايما كدا فصلاني يا روان طيب انتي عارفه اني نفسي اشوفك ومع ذلك بكرر طلبي .

_ انت عارف اني استحالة اقابلك بدون إذن بابا وكمان انا داخلة على امتحانات الفاينال ومحتاجة اركز فيها .

_ انتي مش ملاحظة إنك مأفورة الموضوع شويتين يعني فيه إيه لو قابلتك نص ساعة حرام يعني انتي عجيبة اوي ياروان بجد انا ماشوفتش كدا في حياتي ؟!

_ هو انت كل مرة هتتعصب عليا كدا يا مجدي اقولك حاجة انا غلطانة اني كلمتك اصلا يلا سلام.

_ استني يا مجنونة .. الووووو يا روان ؟!

ألقى سماعة الأذن جانبا وهو يشتاط غضبا، اما هي فغاص عقلها بين حبها له؛ وبين تلك الثقة العمياء التي وهبها لها أهلها.. كانت عيناها تغفو على ذلك الأمل الذي كانت تنتظره على نافذة الغد الذي هامت به روحها عشقا لم تكن تتذكر سوى تلك الكلمات التي تجعلها تشعر بحفنة من السعادة تضاهي العالم أجمع ليس غريب أن تترك الروح القصور والرفاهية وتقبل العيش بوكر صغير يخلو من ملذات الحياة فهي تركد خلف ذلك الدفيء الذي يرسم الابتسامة على ثغرها ويهبها قسطا من العاطفة مع قليلا من الأمل

ستترك العالم بأسره وهي تقضي حياتها بجانب وليف روحها لم تكن مرآة الحب عناء كما يظنون بل أن الحب تسرب الى قلوب العميان وترك بصمته عبر أحلام

وردية تطفو على مياه البحر لتجعل منه مجدافا وقاربا ينقذ الغارقين بين ثناياه.. ظلت تبتسم بين الفنية والأخرى على نغم صوته الهادئ الذي يبعث السكينة داخلها وهي صاغية لحديثه المعتاد وكأنه يظن إنها تلك الطفلة المدللة متحجرة العقل والتفكير لا تفعل شيئا مما يمليه عليها بل اعتادت على التقصير في واجباتها وعدم تناول وجبة الغداء والسهر أمام الأفلام الهندية فهي أصبحت مهووسة بأفلام هوليود المزعجة رغم سذاجتها إلا إنه يعشق تلك الطباع والابتسامة التي لم يستطع مقاومتها فلن يكن سوى صريع حبها الذي لا محاله منه.

_ محل احذية مستوردة مكون من طابقين

_ مكتبة لبيع الأدوات المدرسية

مقهى متوسط على يسار الطريق سوبر ماركت ..

كانت تمشي بخطوات سريعة وهي ترتدي خلخالها الفضي العتيق وحقيبة السفر التي جلبتها معها مع ذلك الجاكت الذي ترتديه وهي لاهثة الأنفاس، كانت الساعة حينذاك الثانية والنصف كانت عيناها كثعلب ماكر يرمي بصره هنا وهناك وهو يمشي بحذر ودهاء، ظلت تتابع طريقها وهي تتذكر تلك اللحظات التي ارهقت روحها وجعلتها تتوه عبر عالم الفوضى مع تعذيبه لها كل مساء مازال صراعه معها لا ينتهي، وكأنها تلك

الجارية التي دفع ثمنها البخس ليتاجر بها بين دروب المزادات لم تكن تستطع الانتظار كيف لها أن تعيش حياة مع ذلك الكفيف الذي اعمى بصره ..

النيكوتين وجعله مجنونا يتردد على البارات وصحبة الكيف الذين يترنح معهم كل منتصف ليل لم تكن باستطاعتها سوى أن تريحه من ثقل البؤس وتريح جسدها الذي ترك السوط ندباته المسمومة عليه، وخلفت حلقات تتسع ألما كلما تحسست اوصالها، لم تكن حرة بما يكفي فلن تستطع إبعاد صوت الكرباج الذي كلما علا جسدها تسربت صرخاتها إلى الجيران، وكالعادة يضعون آذانهم خلف الجدران يتابعون حلقات المسلسل الذي بطله سكير وضحيته تلك الزليلة المنكسرة.

ظلت تلتف بالبالطو الذي ترتديه لعله يكون دفئ صقيعها من هواء الشتاء الكاسر وأخيرا وصلت المحطة الكائنة بذات البلدة بعد مشي على الأقدام لنصف ساعة فلم يكن في حقيبة يدها سوى عملة ورقية فئة عشرين جنيها تكفي تذكرة القطار والعربة التي ستقلها إلى درعها الواقي، منذ وفاة والديها لم تكن ابتسامتها الباهتة هباء ولكن كانت نابعة عن واقع ترك بصمة الزيف على ثغرها الذي أيقن قدره لا محالة باتت كلماتها متعثرة وهي تتأمل السيدات الذين يمرون مع أزواجهم بانتظار القطار، كانت تتأمل تفاصيلهم بنظرات منكسرة.. وهي تحاول أن تحبس دموعها التي باتت تعتلي جفونها الزابلة لم تكن قضية عادلة ولم تنعم بالسعادة بكنف زوج أدمن الخمور!.

وكأن المرأة في نظره تشبه زجاجة الخمر عالمية الماركة؛ ليس هناك مجال للمقارنة فربما تكون الجودة هي الوكيل الوحيد لتجعل عقله بمنفى مختلف عن تلك الزجاجة التقليدية التي تباع بين رفوف الرصيف، وضعت كلتا يديها على وجنتيها كم مضى على زواجها مع ذلك المتعجرف سليط اللسان نبيل لم يحسن معاملتها لمرة واحدة سوى إنه اعتاد على جلب الفوضى وحين يغضب ينهال عليا ضربا بدون شفقة ويعود إلى وكر الرزيلة ليمارس إدمانه الذي اعتاد عليه .

كم فنى عمري بجانبه !.

خمس سنوات خلف قضبانه الحديدي الصدئ، وهو يلهو مع زجاجته الفاخرة.. لم أستطع نسيانك لبرهة كم كانت محظوظة بك.. ليت الأدوار تتبدل واكون انا تلك الفتاة التي حصلت عليك.كم أنت محظوظة يا تسنيم !.

عانقت حقيبتها انتفضت مقعدها على صوت صفارات القطار المتأنية بالرحيل، تنهدت قليلا ورمت بصرها خلفها وعلامات الحزن والأسى تبدو على ملامحها السمراء ودلفت داخل كبينة القطار مشت عدة خطوات بالداخل بحثا عن مقعد رمت بصرها نحو الجهة اليسرى باتجاه النافذة على ذلك المقعد الفارغ وضعت حقيبة يدها سوداء اللون وحقيبة السفر الأخرى التي تجرها خلفها زرقاء اللون وجلست بجانب النافذة وهي تحمل ماضيها بين ضلوعها الهوجاء.

أسندت رأسها بجانب النافذة وأغلقت عيناها لبرهة لتخوض الحرب مع تلك الذكريات التي هي خصمها الذي جعلها تتأمل هزيمتها بين صفوف المقاتلين لن تطفئ لهيب روحها تلك الدموع الثلجية التي اعتادت عيناها على الامتثال لواقع فرض حياة البؤس على وجنتيها المشرقة حتى جعلها أرض قاحلة تتعطش لسحابة الشتاء ولخضرة الربيع وجماله، لم تكن شمس الخريف واشعتها تجلي تلك العتمة التي تغوص بأعماقها المتهالكة؛ ولن تتركها العاصفة الهوجاء تصد لكمات واقعها الذي درج اسمها بقائمة التعساء، ظلت روحها تتساقط واحدة تلو الأخرى وهي تغفو على عتبات الأماني لعل ذلك الربيع يزين حياة البؤس الذي انزلقت قدماها بأعماقه!.

استفاقت على صوت ذلك الصغير يمسك بمعصم والده دققت النظر إليه وهو ينظر إليها مبتسما، أشارت بيدها له وكأنها تداعبه ظلت تتأمل وجهه الملائكي وهي مرتسمة على ثغرها ابتسامة خفيفة، كم توقت لأن تحمل بين احشاءها قطعة منه ليس سواه من ملك روحها التي هامت به عشقا ولكن دائما حكمة القدر تسبق أحلامنا وما علينا سوى الامتثال لها رغم الانين لم يكن والدي على صواب، تلك العادات اللعينة التي اخذت مني ما تمنيته وحرمتني السعادة؛ ليس سواها من جعلتني أعيش بجوف تلك العتمة مع زوجي السكير وجب على الأخت الكبرى أن تتزوج أولا!.

سحقا لهذا القانون!. الذي حرمني الزواج بحبيبي ليكون زوج اختي الكبرى !.

كم كنت ظالما يا أبي ..

رغم أنني افتقدتك إلا أنني أعاني سوء اختيارك لي !.

لم تكن حياتي سوى حطام أحلام.. كنت أسوء حظا من اختي الكبرى تسنيم، ولكن لا بأس فلن اتركك ما دمت حيا يا أمير .

كانت ليلة حالكة الظلام وضعت رأسها على وسادتها بعد أن أطفأت أضواء الغرفة، كانت احبالها الصوتية مختنقة مع جرعات من الألم والوجع الذي تسرب الى اوصالها وهي تحترق ببطء كورقة فاترة ظلت تقامر قارعة اللهفة، وقضبان الشوق مع وخز الكرامة، بجسد نخرته الحيرة مع دمعات حارة وكأنها مفارقة ظله .. وحده هذا النبض يراك من بعيد !.

ليس باستطاعة الروح أن تعاند القدر اكتفت بتنهدات متقطعة وعينان غائرتين وقلب يعاني لهفة الشوق والاعتزاز !.

لم يبق سوى طنين الناس الذي يتسرب إليها خلف الجدران وهما يتحدثون عن عروسه الثانية السيدة سيهام وليلته الدافئة.

قطع ذلك الوسع من الصمت انا عارف يا سيهام إنك مستغربة المكان شوية بس بعدين مع الأيام هتتعودي على الوضع في البيت..

نظرت إليه بنظرات الخجل وهي مسترقى السمع ومصغية بكل جوارحها، اومأت برأسها بين الفنية والأخرى..

عاود الحديث وهو مفرود الأكتاف.

_واكمل حديثه قائلا: بالنسبة لتغريد هي طيبة أوي وبنت حلال يعني هتكونوا اخوات وكمان انا ماليش في جو الغيرة والمناهدة بتاع الستات ده .

ابتسمت سيهام خجلا وطفقت تمسح بنظرها أرضية الغرفة .

ارتسم محمد على ثغره ابتسامة عريضة وجلس بجانبها وهو يجمع شتاته المبعثر في عيناها الزرقويتان.. وكأنه يمارس طقوس رجولته المفقودة !.

فاق من نومه العميق على رنين جواله الذي ظل يهتز مع ضوء الشاشة الخافت، كانت عيناه مثقلتان بالنعاس اعتدل من فراشه ومد يده ناحية المنضدة الموضوعة بجانب السرير على الجهة اليمنى الموضوعة عليها الأباجورة ذات اللون الأبيض وجواله ومحفظة نقوده الجلدية سوداء اللون أمسكت يده جواله الخلوي، ارتدى نظارته الطبية من شفتيه، وهو يدقق النظر في صاحب الاتصال نظر بساعة يده الكبيرة المعدنية، وذات الجلد البلاستيك وتثاوب بعدها تمتم قائلا: الساعة الخامسة والنصف صباحا مازال الوقت مبكرا أعاد وضع الهاتف ورمى بصره إلى السرير قبل أن يخلد للنوم مرة ثانية. رن هاتفه مرة أخرى أمسك هاتفه الخلوي وظل يدقق النظر في ذات الرقم وبعدها ضغط على زر الرد قائلا: الوووووو

_ الباشا منتظرك النهاردة الساعة سبعة مساءً وياريت تلتزم بالمواعيد وماتنساش تجيب الحاجة اللي طلبها منك .

_ معلش انا معرفش حضرتك ؟

_ومين الباشا ولا دي لعبة جديدة منكم بس حلوة ياريت تبلغوا الباشا اني مش هسيب القضية ولو كلفتني حياتي .

أغلق هاتفه الخلوي بعد أن بصق في وجهه والقاه جانبا، لم يستطع استيعاب مطاردتهم لها كان مستعد أن يواجه أسوء مصير على أن تظل بجانبه، ذلك السبق الصحفي الذي نشره عنها لم يكن سوى حيلة منه ليتحدث إليها ولو لبرهة.

كم اشتاقت عيناه للنظر إليها !. رغم إنه عشق اصرارها على إكمال القضية إلا إن ذلك كان يرهق قلبه الذي هام بها عشقا اتكأ على سريره واضعا كلتا يديه خلف رقبته وارتسم على ثغره ابتسامة خفيفة مرددا: خلود .

دلفت إليه أخته الصغرى سالي وهي تنظر إليه بدهاء أغلق عينيه وكأنه يخبرها إنه نائم ولم يفق بعد ولكن ابتسامته هذه المرتسمة على ثغره، دائما ما كانت تكشف أفعاله فلم يكن أكثر ذكاء من أخته المدللة سالي ابنة السابعة عشر من عمرها؛ ربضت بجانبه وهي تتأمل عيناه المغلقتان باتساع واضعة كلتا يديها على وجنتيها مع ابتسامة عريضة تعتلي ثغرها قائلة: الظاهر انك نائم يا هاني خلاص انا مش هعمل حسابك في فطار مربى التوت اللي بتحبها..

النوم صحة برضوا

اعتدل سريعا من جلسته وامسك معصمها تجرها نحوه ورفع إحدى حاجبيه باقتضاب قائلا: انتي قولتي مربى التوت يا سالي ؟!

اعتدلت ونظرت إليه بدهاء مع ابتسامة مقتضبة أيوة يا هاني بيه، ولو مش مصدقني هات خمسين جنية واحلفلك دلوقتي .

ـ وعلى إيه انا هروح المطبخ بنفسي شكرا لسموك يا سالي هانم .

أرتدى حذائه البلاستيكي وتوجه نحو المرحاض الكائن بذات الغرفة وخرج بعد عدة دقائق وضع الفوطة جانبا بعد أن جفف بقايا الماء على وجهه، وربض أمام المرآة لبرهة يمشط شعره أشار بزراعه ناحية سالي التي تنتظره على الأريكة؛ وضعت يدها في يده مع ابتسامة تعتلي ثغرهما وتوجهوا للخارج ناحية الصالون ..

جلسوا سويا على الطاولة بانتظار العم عزام يعد لهم افطار طازج مثل كل يوم .

كلما غضبت منه هرولت نحو غرفتها لتدون تاريخ اليوم والساعة، ولترى إلى متى لن يحادثها ولكنه لم يدع لها مجالا لأن تنتظره لم يتوانى عن إرسال كلماته النثرية ليستعطف ذراتها.. لتحادثه وتتناسى ما حدث بينهم من خلاف .. كم كانت مدللة !. وكم كان يعشق تلك الابتسامة التي تضفي جمالا على وجهها الملائكي لم يكن يتخيل يوما أن يجد ملاكه خلف شاشة إلكترونية!.

كم كانت صدفة رائعة !.

احضر جواز سفره الذي كد عليه كثيرا، وأخيرا حصل عليه من هيئة الجوازات بعد صراع كبير مع الهيئة المختصة لوجود خطأ باسم والده أدى إلى تأخر جواز سفره الذي هو اول أحلامه وأخيرا سيبدأ رحلته نحو دروب العمل وبناء مستقبل يليق بحبيبته روان حتى

يكون باستطاعته طلب يدها بشكل رسمي، ما أجمل تلك الأحلام التي هي دواء الروح؛ هي تلك الطاقة الإيجابية التي تعيننا على أعباء الحياة؛ ذلك الأمل ينير عتمة الواقع ليتلاشى الظلام .

وجب عليه أن يضع كرامته على كفيه ليحظى بها.. وجب التضحية لبناء مستقبل يليق بها، ظل يتأمل جواز سفره والسعادة تغمر ملامحه السمراء وأخيرا .

سأحظى بفرصة سفر إلى الخليج ..

بعد ٤ ساعات

فيلا على طريق زراعي تحيط بها الأشجار من كل اتجاه، داخلها جلس ثلاثتهم وهم يتبادلون الحديث والضحك بهستيريا؛ و زجاجات الويسكي تعتلي المنضدة، كان بين الفنية والأخرى ينظر لساعة يده ذات الماركة وهو كان يرمي بصره إلى باب الفيلا وهو تبدو على ملامحه علامات الضيق، واصل الحديث معهم وهو يشتاط غضبا محدثا نفسه : كان يجب عليها أن تأتي في هذا التوقيت نظر إليه رامي وهو يضحك بهستيريا، وممسكا بيده اليمنى كأس الويسكي قائلا:

إيه يا عم أسامة هو صديقك ليه اتأخر على الحاجة ولا انت كل مرة هتزوغ ؟

_ على وصول يا رامي أهدى شوية.

ارتدت عباءتها ذات اللون الأسود مع حلقات بيضاء لامعة وحذاءها الجلد وهي ترتجف أعصابها وضعت الكيس داخل حقيبتها، وهرولت نحو الخارج بعد أن خلد أولادها إلى

النوم. اما زوجها أمير فاعتاد على الذهاب إلى البارات كل مساء . كانت الساعة حينذاك الثامنة مساء أغلقت أنبوب الغاز واطفأت الإضاءة على أولادها وذهبت إلى الخارج ؛ اغلقت باب الشقة بالمفتاح وهرولت إلى النزول إلى أسفل في الطابق الأول نحو محطة الباص كانت عيناها تتأمل الشوارع وهي تسير بخطوات متباطئة كانت ترمي آلامها في نظراتها المنكسرة خوفا من أن تهرب دمعة حبستها وقف لها سائق الباص وهو يقذف كلماته قائلا: هو الجميل محتاج مواصلة ؟!

نظرت إليه بنظرات غاضبة وأكملت طريقها بصمت ضحك سائق الباص بدهاء وتوجه مسرعا في طريقه..

كانت آلامها تزداد كلما تذكرت تهديده لها ..

كيف لها أن تتخلص من تلك القضية التي كلما تعثر في الحصول على كمية من الكوكايين قامبتهديدها، كيف لها أن تتخلص من تلك الندبة التي لونت تاريخ حياتها بألوان قاتمة.

كونه له نفوذ !. كيف لها أن تخرج من تلك الحفرة التي تعثرت قدماها فيها حتى هوت بعمقها..

تنفست الصعداء، وجففت دموعها التي تنساب على وجنتيها قبل أن تطأ قدماها عتبة الفيلا كانت تسير بخطوات واهنة وهي تغفو على نافذة غد الذي طال شروقه..

ارتسم على ثغره ابتسامة عريضة حين اصطدمت عيناه بها؛ وظل يراقب خطواتها المتباطئة ونظراتها المنكسرة وهي متجهة نحوه.. فتح ذراعيه مع ابتسامة باهتة قائلا : كنت عارف إنك هتيجي بس احب أقولك إنك أتاخرتي خمس دقائق يا ريهام ولو عدت الساعة تسعة مساء والشباب مشيوا زعلانين كنت هخليكي تباتي الليلة النها ردة عند ام فاروق بتاعت الهيروين في سجن القناطر.

أجابت بكلمات متقطعة انا أسفه يا أسامة بيه حضرتك صاحب نفوذ فعلا وتقدر تعمل أي حاجة بس ياريت تكون دي آخر مرة لأني أنا تركت السكة دي من زمان عشان اقدر اربي أولادي .

وريني الحاجة وبعدين نتفاهم في التوبة اللي حلت عليكي دي ..

أخرجت يدها كيس هروين وهي ترتجف أعصابها وترمي بصرها بين الفنية والأخرى على رامي وصديقه نادر اللذان هما بذات الجامعة التي يدرس بها أسامة ابن رجل الأعمال المعروف عبد الباري سليمان، كان ابنه أسامة المدلل والوحيد له؛ يملك سيارة فخمة ذات ماركة يذهب بها إلى الجامعة لدراسة في كلية الألسن وهو اعتاد على الرفاهية بالإضافة إلى شركات والده التي لها شهرة عالمية..

كم كرهت تلك الصدفة التي جمعتها به حين تم القبض عليها مع كمية صغيرة من الهروين حينها كان أسامة سبب في أن ينقذها من بين يدي ضابط الشرطة الذي فتش

حقيبة يدها حين أحس بالشك والريبة وملامحها التي تغيرت ترجل أسامة حينها من سيارته الفخمة ولحسن الحظ كان الضابط ابن عمه لم انسى ذلك اليوم ..

مد يده واخذ الكيس والسعادة تغمر ملامحه وضع يده في جيبه أخرج خمس ورقات نقدية فئة المائة ووضعهم في يدها وأشار بيده إلى الخارج؛ اومأت برأسها وتوجهت إلى الخارج بخطوات سريعة وهي ترمي بصرها هنا وهناك خوفا من أن يراها أحد.

لم تعد تلك العاصفة تخمدها سنوات النسيان لم تجد تلك الأيد الدافئة التي تحنو عليها، وتخفف ألم .

روحها المبعثرة لتفوق من غفوتها على واقع خيمت على سماءه العتمة.. وحجبت عن عينيها النور وزجت بها في وادي الموتى الأحياء؛ ظلت تقبض على ريح الشوق وهي تتذكر حديثهما سويا ظلت تتأمل يديها الذين افتكوا بها على حين غفلة لتقع طريحة الفراش تقامر الموت بشهقات صاخبة!.

لم تكن قضية عادلة ظلت تعيد الذكريات وهي تجلس على الأريكة تنتظر زوجها أمير الذي اعتاد على عادته كل مساء لقد أصبح سكير من الدرجة الأولى، لم تستطع أن تستوعب ما يحدث معها كلما تسرب صوت نحيبها إلى اذنها كل مساء؛ وكأنها تأخذ بيدها وتحنو عليها كلما انسابت دموعها على وجنتيها ..

كيف لذلك القلب المتحجر أن يفعل بها هكذا ؟!

خلقنا الله رغم اختلاف اجناسنا وطباعنا البشرية، منا الكريم والبخيل والمنافق، والصادق، والأمين وذاك الذي تتسم طباعه بالجور ..

وآخر بالكبرياء ..

رغم أن تكويننا واحد واصلنا هو التراب ولكن تأتي تلك اللحظة التي يمر بها الكثير وهي نقطة ضعف تنتاب الروح اذا وطأة قدماها دروب الغير مستباح بل سوء السبيل، تهرول الروح حين تحس بالضعف والوهن؛ لذلك النور بين دروب الإيمان تسلك أروقة الغفران لترفع كفيها وتطلب من الله عز وجل قبول توبتها لن تهدأ روحها الساكنة بين الضلوع، لتنال ولو قليلا من رحمة ربها، لتهدأ تلك العاصفة الهوجاء..

نعم أروقة الظلام لن تدوم طويلا ستجلي نجمة الاهتداء بنورها الساطع؛ تلك العتمة التي ضيعت أرواحنا بأحلام شتى لنحلم سويا..

ولكن وجب علينا الانتظار، بل الصبر لن نحصل على ضوء أمانينا وتحقيقها سوى بعبور جسر الصبر.. قل ما شئت .. افعل ما شئت لن تحصل سوى على ما هو مقدر لك. قضية إلهية عادلة تخلو من الزيف والاشتباه جميعنا خلقنا سواسيه، بل لنعبده وحده عز وجل فلن يوجد سواه إله.. ماذا عن ورقتك هل ستدون داخلها التوبة ام ستقطن عمرك بين أروقة لعنة الظلام مازلنا نتوقى لنهاية الأحداث..

حين وطأة قدماها عتبة منزل أختها تسنيم كم كانت السعادة تغمر وجهها الأشقر فتحت تسنيم كلتا ذراعيها والدموع تنساب على وجنتيها فرحا وسعادة برؤية أختها ريهام كم كانت صدفة رائعة !.

استفاقت من نومها العميق على صوت خزانتها التي تصدر أصواتا مزعجة، أزاحت عنها الغطاء الملقى على جسدها ووضعت يديها على عينيها المثقلتان بالنعاس، لعلها تستطيع الرؤية بوضوح كانت الغرفة مظلمة فقط على نور الأباجورة الخافت ذات اللون الأحمر.. كما أن نظارتها الطبية ليست بجانبها بذلك الوقت، فهي لم تستطع التذكر أين وضعتها كان عقلها فاتر؛ لقد اخذ النسيان قائد الملحمة التي تخوضها كمن فقد السمع وأصبح يجهل مخطط العدو .

مدت يدها داخل درج المنضدة بجانبها فلم تستطع إيجاد نظارتها بين رفوف المنضدة وضعت يدها على ثغرها حين تثاوبت، كانت الساعة حينذاك الواحدة والنصف صباحا، لم تستطع أن تستوعب ذلك الضجيج المنبعث من داخل الخزانة الخشبية، كما أن جسدها الممدود على سريرها مثقل للغاية كمن اخذ جرعة مخدرة حتى عجزت أطرافه عن الحركة، كان صوت أنفاسه يتسرب إلى مسمعها كل ليلة وهي تغفو على أسئلة عجز عقلها العقيم عن الإجابة عنها.

رغم اننا نفتقد للراحة التي مهما بحثنا عنها لن نجدها لأنها إحدى خبايا القدر ليختبر بها صبرنا وقوة تحملنا مع قليلا من الألم، لن تحصل على العيش بالجنة ونعيمها إلا إذا

تعثرت قدماك، لن تنهض سوى بواسطة ذلك النور الذي يمدك بالإيمان؛ لن تعبث بك لعنة الظلام مادامت بصيرتك تطأ عتبات الإيمان.

كن على يقين أن كل ما يحدث معنا هو بحكمة وقدر.

اجعل بصيرتك تركد خلف التقى خلف اليقين خلف دروب العبادة، انزع تلك النقطة القاتمة التي تتوسط قلبك المتهالك اجعل غذاءه الإيمان.. لا تكن ضحية اليأس؛ كن واعيا لمنجيات الأمور؛ لن يخذلك واقعك طالما ظلت قدماك تطأ دروب النور.

بهتت ملامحها أصفر وجهها ارتبكت أعصابها كانت ملامحها الزابلة تتحول للون قاتم يفتقد النضارة والهيبة اما اوصالها فلم تكن أقل ألما، كلما فاقت من نومها العميق على إثر أنين الناس المتسرب إلى مسمعها من خلف الجدران العتيقة لتعلم أن الشمس اشرقت، كانت تلقي فراشها جانبا وتذهب مهرولة إلى المرحاض لعلها تستطيع اللحاق بطابور المدرسة قبل أن يكلف الطلاب إلى الصفوف لتبدأ الحصة الأولى مثل كل يوم، كان جسدها مرهق من إثر تلك الندبات القاتمة التي تعلو اوصالها الضعيفة كلما حاولت وضع يدها برفق تأوهت ألما. لم تستطع السيطرة على عقلها الذي أصبح يركد خلف دروب الظلام المجهولة فقط تسمع حسيسهم وكلماتهم الغير مفهومة

وهي تتصارع بين اجسادهم الضخمة التي تحتجزها خلف قضبان حديدي صدئ، كسلعة آدمية قابلة للالتهام كان صوت أنفاسها يعلو شيئا فشيئا، ونبض قلبها يكاد يكون عدم؛ جف ريقها، تحول بصرها حين طلب منها معلمها إخراج أدواتها المدرسية

ومحاولة التركيز معه لعل دورها حان لتشرح لهم مسألة المحاسبة فهي تفوق زملاءها ذكاء.. تنفست الصعداء، وظلت تصبب عرقا حين احست بجسد صلب يرتطم بجسدها الفاتر، صاحت منتفضة من مقعدها وهي ترتجف خوفا، التهمت الجميع الدهشة أيقن المعلم إنها بحاجة للراحة لعل ذلك من إثر قرب موعد الامتحانات .

تفتقر عقولنا لتلك النهايات، نحاول أن نجدف عبر الحياة بقارب الصبر الذي هو أثمن الأشياء التي نملكها كم غريب تقامر أرواحنا ندبة أمس الذي لا محالة من مواجهته، ويبقى التساؤل..

هل بإمكاننا الانتصار يوما ؟!

هل ذلك المنفى سيعيد لنا أرواحنا المبعثرة بين رفوف الماضي !.

هل ستدركنا شمس غد الساطعة بخيوطها الذهبية !.

ستنعم يوما ارواحنا بمنفى يليق بها عبر أروقة النور دون أن تكون مكتوفة الأيدي، لن تدوم طويلا لعنة الظلام كنت أخفف ذلك الوهن ببضعة كلمات تمدني بالأمل؛ لم يتركني انعم بحياة البشر.

لم تستطع عيناي أن تبصر جمال الواقع ودروبه الملتوية المفعمة بآدميين يشبهونني !.

كم اخذت مني لعنة الظلام دون أن تترك ملامحي؛ حتى تشبع جسدي كدمات الحرمان بروح واهنة وعينان غائرتين، لم تستطع التكييف مع النور.. كنت أشبه بتلك الطيور المخيفة التي تعشق الظلام وتمارس طقوس القائد الجائر لتفتك بفريستها دون رحمة!.

هل جلبة الضوضاء تريح جسد آدمي اختاره غريب من عالم آخر ليكون شريكه برحلته بل سيكون نصفه الآخر لينعم بالعيش معه عبر عالمه الخاص، سيلقنه دروس الحب والتضحية، وسيحجب عن عينيه رؤية النور!. لا لأن يعشق الظلام بل ليعمي بصيرته عن عالم البشرية، ويخلده له دون أن يعود لعالم البشر سيكون رفيقه الأبدي؛ بل ذلك المفقود.

كانت عيناها تراه أينما تذهب، كان ظله يؤرقها وكأنه ذلك الحارس الذي وضعاه والديها لحمايتها لم تكن تدرك تلك الأحداث الغامضة التي تحدث معها.. ومن ذلك الغريب الذي يرتدي أساور سوداء وجلباب يشبه سحرة الأساطير!.

لم تكن تصدق ما تراه ولكن ما كان يرهق عقلها هو تلك الأنفاس التي تشعر بها في اذنيها كلما احست بتلك الأنفاس غاص عقلها في صراع لتراه يقامر اوتاره الفاترة بين صفوف المقاتلين بل وذلك البئر الذي كلما همت بالهرب من تلك البلدة وجدت نفسها بين أحضانه مع كتاب وشمعة تضيئ لها عتمة البئر ليتسع إلى عدة دروب، لم تستطع رؤية وجهه الذي يشبه أروقة ظلام دامس كيف له أن يراها وهو محجوب عنه النور كيف لها أن تبصره ؟

كيف لها أن تتحدث إليه وهو يغيب عبر حلقات الظلام الدامس !.

كيف يتسلل إلى أحلامها ويصور لها حاضرها ؟

ويجسد مرآة عاكسة ليجلبها بين جدران كهفه المهجور!.

لماذا يحجب عن عينيها النور وهي تغفو في سريرها لتستيقظ لبرهة على إثر ضجيج الطبول يرتفع شيئا فشيئا وهما يتحدثون بكلمات غير مفهومة.

كان عقلها مثقل بالأسئلة التي كثيرا ما عرضتها على أمها تغريد.

كانت تغريد تضحك بهستيريا، وتخبرها إنها أضغاث أحلام، بل ذلك بسبب تجسيد العقل الباطن لبعض الأمور التي نظن إنها مخاوفنا .

أين المفر من ذلك الغريب الذي لم تحجبه عنها الجدران العتيقة ولا المسافات !.

من أين يأتي ..

وأين يقطن ..

وما سر ذلك الكتاب وهذه الدروب المتعددة !.

خانتها كل الإجابات؛ استطاعت أن تخبئ روحها بين رفوف الماضي، غاص عقلها العقيم في صراع إلى ما لانهاية.

وبدأت رحلتها مع لعنة الظلام لتواجهه جبروت امرأة من نور.

منزل مكون من طابقين الطابق الأول به ثلاث غرف ومرحاض ومطبخ وصالون غرفة على اليمين واثنين على الجهة المقابلة باليسار؛ يليها طرقة كبيرة ثم المطبخ محدود المساحة يوجد به بتوجاز خمسة شعلة وانبوب غاز، ورفوف خشبية عديدة بشكل دائري يوجد بها بعض الأواني النحاسية والالمونتيال والشوك والسكاكين وكل مقتنيات الطعام والشراب، وثلاجة بيضاء اللون

ذات بابان وميكروويف، يليه بالجهة المقابلة المرحاض ثم طرقة كبيرة، ثم الغرفة الخاصة بتاليا وبعدها الصالون يوجد به انتريه ثلاث كنبات ذات لون ذهبي لامع وسفرة صغيرة مكونة من طاولة وخمسة كراسي خشبية متعددة الألوان ذات لون أبيض وآخر أسود يوجد شاشة إلكترونية كبيرة TV ثم على جهة الأمام يوجد السلم المكون من خمسة عشر درجة، ثم طرقة وغرفتان على اليمين وأخرى على اليسار، يليها المطبخ ثم المرحاض. تقطن بالطابق الثاني زوجة محمد الثانية السيدة سيهام..

توجهت تغريد ناحية المطبخ بالطابق الأول وهي تبدو على ملامحها علامات الضيق أمسكت طبق بلاستيكي وقامت بشطفه من صنبور الماء الساخن؛ فتحت الثلاجة وأخرجت زجاجة المربى ووضعت القليل منها داخل الطبق، ثم احضرت طبق الزيتون الأسود وبعض قطع الجبن الاصفر.

كانت تحترق ألما من الداخل وهي تزف زوجها لأخرى، وهي شاردة الذهن انسابت الأفكار على عقلها العقيم وهي تكابد نار الوحدة بصمت !.

ما أغرب قلوبهن رغم أن الجميع يراهن ناقصات عقل ودين إلا إن قوتها تفوق ذلك الحنان الذي ان فرغ على الدنيا لأغرقها اصبحت اما وزوجة واختا وابنة ورغم ذلك تجتاز طاقتها كل الآلام وما اغربها اذا أحبت بصدق ستضع قلبها على كفيها لتقدمه مهرا لك !. لن تجعل مصباح السعادة ينطفئ لن تدعك تعاني مرارة أمسك. لن تمحو

ذلك التذكار الذي وهبته لها ولو كان خنجرا قاتل؛ ستدع السعادة جانبا لتغفو روحها على كفوف الألم بين يديك!.

كانت دموعها تنساب على وجنتيها المشرقة حتى تأكلت اهدابها العريضة إلى أن زبلت، لن تتغير طباعه ولن يلتفت إلى حجم ذلك الألم الذي أشعر به !.

بعد برهة يسيرة نزل من الطابق الثاني وهما يهمسان لبعضهما مع صوت الضحكات الصاخبة كانت ترتدي فستانها المزركش ذات اللون الأحمر، ومساحيق الزينة تعلي وجهها الأبيض والكحل يتوسط عيناها الزر قويتن كانت طويلة القامة ممشوقة القوام ذات أسنان ناصعة كان ممسك بمعصمها والسعادة تغمر وجهه الأسمر، كان جلبابه ذات اللون الزيتي يضفي جمالا على جماله مع أسنانه ناصعة البياض؛ اصطدمت عيناها بهما وظلت تنظر إليهم بعينان غائرتين..

كانت تحترق ألما من الداخل؛ كيف لها أن تحتمل رؤية زوجها مع غيرها أي تضحية هذه ؟!

ارتسمت على ثغرها ابتسامة خفيفة وهرولت نحوهم وامسكت يد سيهام قائلة:

الف مبروك يا حبيبتي نورتي بيتك.

ابتسمت سيهام خجلا ودنت منها بصوت هامس قائلة: هو فعلا بيتي يا حبيبتي وقريبا هيكون بيت ابني المستقبلي كمان؛ رمت بصرها نحوه بابتسامة عريضة واضعة يدها على معصمه واردفت قائلة : إيه يا محمد انت مش هتفطر ولا إيه ؟!

ابتسم وهو مفرود الأكتاف وتوجه ناحية الطاولة وجلس على الكرسي الأمامي وشمر يديه رمى بصره ناحية تغريد قائلا : انتي مش هتفطري ولا إيه يا تغريد ؟!

هي تاليا راحت المدرسة ولا لسه نايمة ؟!

اقتربت منه وجلست بالكرسي المقابل مدت يدها وامسكت طبق المربى ووضعته أمامه وأجابت بكلمات متقطعة هي صحيت من شوية ومشيت، وكان نفسها تبارك لك بس للأسف تأخرت على امتحان العملي الخاص بالعلوم .

شرد لبرهة وزم شفتيه حتى بات شاربه بارز قائلا: عارفه يا سيهام تاليا بنتي دي ذكية جدا وعلى فكرة هتفهموا بعض بسرعة لأنك متعلمة وهي كمان دلوقتي بقت في الإعدادية.

وضعت يدها على وجنتيها واليد الأخرى ممسكة بقطعة الخبز المجفف وابتسمت قائلة : طبعا يا محمد التعليم هو الحياة؛ ومادام متعلمة اكيد مش هتتعبني في الفهم، رمت بصرها نحو تغريد بخبث وسريعا ما حولت بصرها نحو زوجها محمد بلطف وخجلا، وضعت الخبز المجفف جانبا وتناولت القليل من شرائح اللانشون الأبيض وقضمت عدة قضمات، وبعدها سكبت القليل من الماء في الكوب الزجاجي الموضوع أعلى الطاولة؛ ارتشفت القليل منه، وتوجهت إلى غرفتها لتبدل ثيابها.

ظلت تغريد تتأمل وجهه الأسمر وكلما هم بالنظر إليها، حولت بصرها بأرضية الصالون خوفا من أن يرى دمعة حبستها شردت لبرهة عبر ماضيها؛ حين تقدم لخطبتها وهو يحمل شهادة جامعية .

كانت تعشق تفاصيله كانت كلما نظر إليها خفية ابتسمت بخجل، وهرولت نحو منزلها وهي ترتجف أعصابها لم تكن تصدق إنه يريد الزواج بها ولكن كيف ذلك وهي أمية لا تقرأ ولا تكتب كان حلمها الوحيد الذي طالما تمنته أن تفك خطوط الكتابة وتحصل على قسط وفير من التعليم ينير لها عتمة الحياة. كم كانت أحلامها بسيطة !.

ولكن أحيانا الابنة الكبرى هي من تحمل ضغط الواقع وسريعا ما وجدت نفسها تزف إليه بسن مبكر لم تستطع أن تحلم ولو لوهلة؛ لم تدع عيناها تنظر للماضي لتلك الأحلام التي كان هو عوضا عنها لقد أحبته رغم عيوبه رغم ذلك الكبرياء الذي يشكل كيانه رغم قلبه الذي كثيرا ما تجاهل حجم آلمها..

لم تبصر عيناه أنين الحزن في عيناها المنكسرة.

كم كان قلبه متحجر!. ولكن رغم ذلك لم يتلاشى ذلك عشقها له بداخلها، لم تستطع روحها التمرد ولو للحظة. كانت تصرخ بصوت مكبوت فقط تلك الابتسامة الزائفة هي من تريح قلبه الأعمى كلما رمى بصره نحوها.

باستطاعتنا التصنع وإخفاء الألم الذي ينحر الروح؛ ويجعلها تعاني سكرات الموت ببطء دون أن تتأوه ألما في الواقع .

أحيانا يكون ألم الروح بصمت هو تلك السكرات التي لن يتحملها رجل ولو ملك قوة العالم لن يستطع الامتثال لن يقاوم وهن النفس المبعثرة، لن يتحمل تلك الروح وهي

تلفظ أنفاسها الأخيرة على عتبة الحسرة والندم لن تحصل على دفاع عادل، لن تستطع عيناه أن تبصر مجنونته بكف غريب لن ولن يستطيع .

انتفضت من مقعدها وهرولت نحو غرفتها ودموعها تنساب على وجنتيها. فقط صوت شهقاتها ودموعها الحارة هو من يصف حجم آلمها، ربضت أمام المرآة لبضعة دقائق وهي تحدق في ملامحها وتتحسس جسدها الذي وهب أكثر مما اخذ !. استفاضت روحها وهي تتأمل عيناها التي تركت الدموع هالة سوداء تتوسط جفونها، تنهدت قليلا وأغلقت عيناها لبرهة وكأنها تستعيد تلك القوة التي افتقدتها، لقد ظلت تقاوم ذلك الوهن والانكسار لتستعيد طاقتها، وبصيص الأمل الذي ينير عتمة الواقع ويهدئ من ألم روحها، والفوضى التي داخلها..

استدارت وتوجهت ناحية الخزانة الخشبية الموجودة بجانب سريرها الخشبي مدت يدها في الرف العلوي، أخرجت يدها صندوق صغير؛ ظلت تبحث داخله بين القطع الذهبية وهي تلقيهم هنا وهناك، أخرجت يدها خاتم صغير ذات فص أبيض مطلي بالليزر دققت النظر فيه وبعدها أغلقت الصندوق الخشبي أحمر اللون ووضعته بخزانتها تنفست الصعداء، وظلت تجفف دموعها الحارة لعلها تخفي أثر هالة الدموع من جفونها؛ بعد برهة يسيرة خرجت من غرفتها وتوجهت نحوه وكأنها تحضن الدنيا

بكفيها حين اصطدمت عيناها به وهو يجلس على الأريكة ويشاهد فيلمه المفضل " التعويذة " الذي يجعله يتذكرها كلما تابع أحداث الفيلم. لم يكن باستطاعته سوى

الامتثال لتعاليم دينه واوامر والديه بل ما حدث كان افضل للجميع.. كانت السعادة تغمر ملامحه وهو يقضم بين الفنية والأخرى شرائح التفاح الأحمر الموضوعة أمامه على المنضدة !. تلك الابتسامة التي على ثغره هي من تخدر ألم روحها المبعثرة هي من تعيدها للحياة، لم يكن عشقها له هباء؛ بل جنون العشق الذي اسكر عقلها واعمى بصيرتها عن العالمين جعلها سجينته، بل معشوقتي التي لن تحيا من ذلك السكر الأليم ارتسمت على ثغرها ابتسامة خفيفة، وهرولت نحوه جلست بجانبه وهي تدقق النظر في عينيه السوداويتان، رمى بصره نحوها عاقدا إحدى حاجبيه باقتضاب مع ابتسامة هادئة وكأنه يستفهم عن سبب نظراتها المتتالية في وجهه..

وضعت يدها على وجنتيها واليد الأخرى ممسكة بطبق التفاح الأحمر لتضعه جانبه قائلة: عارف يا محمد انا مبسوطة اوي إني شايفة ابتسامتك الجميلة دي ما تتخيلش أد إيه انا برتاح لما بشوفك مبسوط قدامي .

_ انتي عارفه يا تغريد حجم معزتك عندي وبعدين انتي عشرة عمر ومهما أبص لحد غيرك انتي هتفضلي اغلى واحدة فيهم..

ارتسمت على ثغرها ابتسامة باهتة رمت بصرها ناحية التلفاز لوهلة، وبعدها اجابته بلغة هادئة :

بنتك تاليا محتاجانا يا محمد الظاهر تاريخك مع مهيرة هيتكرر مع بنتنا تاليا .

ألقى قطعة التفاح جانبا جف ريقه لم يستطع التفوه بكلمة واحدة سوى عيناه شاخصتان وهو لم يكد يصدق أن ميهرة عادت مرة أخرى .

****

حارة بسيطة محدودة المساحة حي عشوائي يضم الكثير من السكان الباعة الجائلين، على يمين الحارة يقطن رجل مسن في غرفة صغيرة مكونة من غرفة وطرقة وصالة صغيرة ومرحاض

صالح للاستعمال وغرفة نوم صغيرة بها سريران خشبيان وخزانة خشبية مكونة من رفين لوضع الأغراض بها. دلف إلى الداخل وهو يحمل أكياس بلاستيكية ذات لون أسود مع ابتسامة خفيفة

تتوسط وجهه وضعهما بجانب والده المسن الذي يعوله من بعد وفاة امه فتح الكيس وأخرج منه موزتان مد يده بعد أن قشرها له قائلا: اتفضل يا حج عبد الرحمن دوق خير الدنيا يا أبا.

مد والده يده التي ترك الزمن عليها ندباته المسمومة وارهقت اوصاله وعيناه الضعيفتين فلم تعد النظارة الطبية تعينه على الرؤية فهو أصبح في عامه الثمانون..

ظل ينظر إليه وهو يقضم قطع الموز ويداه ترتجفان. ظل يتأمل ملامحه للمرة الأخيرة؛ وكأنه يدرك ألم الفراق الذي مازال يتسرب إلى وريده، كانت عيناه تملئهما الدموع

الحارة وهو يحاول رسم الابتسامة على ملامحه لعله يخفي لهيب دموعه التي ابت أن تستكين؛ ظلت تنساب على وجهه كشلال ماء انتفض من مقعده وهرول نحو الداخل وهو يحاول إخفاء ضعفه .

دلفت إليه وهي تدنو منه لعلها تهدئ لهيب رحيله عنهم ببعض الكلمات قائلة : ما تقلقش يا مجدي ابويا في عنيا بس انت اهم حاجة إنك تخلي بالك من نفسك المستقبل محتاج تضحية وعشان تفوز بروان لازم تضحي .

نظر إليها مطولا وعلامات الحزن تتوسط جبينه ظل يكابد ألم الفقد؛ كم أشتاق لتلك الأيد الدافئة التي تحنو عليه، كم أشتاق لدعاء امه وحضنها الدافئ !. للغربة أوجاع تفوق كاهل مغتربيها !.

استدار وظل يجفف دموعه المنهمرة قطع الوسع من الصمت بأحبال صوتية مختنقة ظل يجمع شتاته المبعثر بكلمات مقتضبة قائلة :

_انا خلاص مسافر النها ردة يا هدى مابقاش ليا غيرك انتي وابويا خلي بالك منه وبإذن الله هكون معكم على تواصل .

اومأت برأسها ودموعها تنساب على وجنتيها ارتمت بأحضانه للمرة الأخيرة وكأنها تنتشل حطامه ريثما متلحفة بوحدتها تحول بصرها على ابوه الذي يتهالك في فراشه دنا منه، وطبع قبلته الأخيرة على جبينه متسائلا بصوت مبحوح: مع السلامة يا حاج عبد الرحمن؛

هرول نحو الخارج وهو يحمل حقيبة سفره بين يديه اكتفى بنظرة عابرة على جدران المنزل المتهالك وكأنه يودعها للمرة الأخيرة كم ربا بين جدرانه !.

كم قضى طفولته رغم ضيق سعته إلا إنه كان مأواه .

لن ينعم بالراحة في مكان سواه !.

كم حمل بين كفيه أحلامه بل آلامه وتلك الذكريات التي قضاها مع أمه قبل ان يداهمها مرض الكانسر ..

الذي أودى بحياتها بدون شفقة، ربض أمام عتبة المنزل لبرهة وهو يكتم آلامه البارزة على ملامحه السمراء. وبعدها تابع طريقه نحو رحلته البحرية على قارب يسع المئات.

نزف الفراق مع ابتسامة زائفة ونحن نسبح في فضاء واسع نحو المجهول لا احد يعلم خفايا الكون ومعطياته !.

حتى انت، نعم انت.. لن تعلم ما يحدث معك حين تحبس أنفاسك بين أربعة جدران عتيقة !.

هل سيغشى عليك بعدها ؟

ام ستكون كذلك الغريق الذي يجدف بكلتا يديه في عمق محيط؛ لعله يتعلق بوهم من الأمل ليبقى على قيد الحياة ؟!

****

هذه الجدران الأربعة هي زنزانتي؛ التي ربضت خلف دروبها سنوات لم أستطيع الهروب منها للحظة فشلت محاولاتي مئات المرات، أصبحت بذلك المنفى لعدة سنوات حتى تغيرت ملامحي البريئة وأصبحت بعامي الثالث والعشرين يبدو أنكم علمتم الآن من أكون ؟!

نعم إنها انا تاليا..

هلا دققتم النظر لي ولو برهة ..

اعيروني انتباهكم انا هي تلك التي تدعى تاليا انا هي امرأة من نور؛ لقد حبسوا أنفاسي عبر لعنة الظلام !. أتدرون كم مكثت مع ذلك الغريب ؟!

نعم اقصد ذاك صاحب الرداء الأسود !.

ليس عشيقي من العالم الأخر بل كان خصمي اللدود نعم..

لقد سلبني حياتي اجهز على عقلي دمت اغوص عبر عالمه لسنوات لم استطع فهم ذلك الثأر ولكن ما كان يثير الريبة داخلي فضولي في معرفة الكثير عن ميهرة.

هل سمعتم بهذا الاسم من قبل ؟

تابعوا أحداث قصتي وستعلمون ماذا حدث معي..

مهلا أود أن أهديكم نصيحتي.. كونوا أقوياء رغم الهلاك، وجب عليكم أن تعيشوا بقلب صلب لا يموت، لا تندموا حين يعظم عليكم امرا ربما يكون اختبار؛ ولكن لن يدوم طويلا ما عليكم

سوى أن تحسنوا إجابتكم بعزيمة قوية؛ اتبعوا ذلك النور الذي يلهمكم البصيرة نعم ذلك الإيمان هو أقوى سلاحا بين أيديكم.. والآن سأترككم مع معركتي مع ريمهان..

عفوا اقصد مع الجن ريمهان .

_ كيف حالتها الآن هل تحسنت ؟!

_ نفس النتائج لقد فعلنا ما بوسعنا..

_ هل بقى الكثير أمامها لتعود إلينا ؟!

_ لا اعلم ربما شهور او سنين أو أيام ..

_ هل تعاني صدمة ما ؟!

_ هناك هبوط حاد في الدورة الدموية قد يكون ذلك نتيجة تعرضها لصدمة ما ..

_ هل تشعر بنا او ترانا ؟!

_ قد تشعر ولكن لن تفقه شيئا لأن عقلها منفصل عن واقعنا ..

كنت أراهم خلف جدران زنزانتي الكائنة بذات المنزل لقد كان ريمهان يقطن بها أيضا لقد حجب بصيرتي عن رؤية عالمي الطبيعي، ذاك اقصد عالم البشرية. كنت فقط اسمع حديث أبي مع الطبيب خالد المعالج لحالتي جميعهم، ظنوا اني بغيبوبة قد تطول لفترة إلى ما لا نهاية، كانت دموع أمي تغريد لا تجف أبدا كانت كشلال ماء منهمر على بركة جافة، كنت اشعر بها حين تلمس جسدي الملقى على سريري فقط صوت أنفاسي

الواهنة ما زالت مدرجة بقائمة الأحياء كلما أمسكت يدي الضعيفتين ومسحت بيديها على وجنتي الزابلة..

لم يغف عقلي لبرهة سوى ذلك الجحيم الذي يطوف حولي بطقوس غريبة نعم حاولت اتذكر عددهم هم ليسوا بآدميين؛ ولكن تبدو ملامحهم مختلفة بل بشعة قليلا، لقد استطاعت تلك الأغلال أن تترك ندباتها حول اطرافي الواهنة، كنت أشبه بمخلوق مذموم بنظرهم كلما اصطدمت عيناهم بي القوا اوانيهم الفارغة، كمن يشتهي الفريسة التهام الفريسة قبل ذبحها.

لم أستوعب منهم سوى كلمة تلك الانسية القذرة !.

كان يجلس على كرسيه المنزل بين ركن غرفتي مع تلك الجميلة، لا اعلم من تكون ولكن ثيابها الجامعة ذات الحلقات الذهبية وجسدها الممشوق وشعرها الأحمر الذي يعتلي وجهها وعيناها الصفراوان كانت جميلة للغاية، يبدو إنها من أقربائه لأنها تهتم لأمره كثيرا !.

يخيل إلي إنه حاكم او ذات منصب ذلك العدد الكبير !. الذي يلتف حوله وهما يرمون أبصارهم للأرض كلما نظر إليهم واعصابهم التي ترتجف أمامه. حين ينزعج جعلني أعرف إنه ذات مكانة مرموقة، لقد كان مغرور بعض الشيء يتسم بالكبرياء حاولت بشتى الطرق أن اتعرف على ملامحه هذه ولكن كان أبرع في أن يغوص عبر حلقات الظلام فجأة !.

ما يثقل عقلي ويجعلني في حالة هلع هي تلك الجميلة التي تملك قوة خارقة تجعلها في لحظة تتحول لهرة صفراء اللون ذات عينان مخيفتان!.

لم أصدق ما تراه عيني كنت اراقبها وهي تجلس بجواره وتتحدث إليه؛ وحين يشير بيده للخارج كانت تتحول إلى هرة في الحال وتغوص بعالم الظلام . كانت أصواتهم تتسرب إلى مسمعي كل منتصف ليل بل كل يوم لا تحجبهم جدران او أي شيئا صلب، وقد تجدهم بجانبك الآن على يمينك او يسارك ، وربما أمامك لقد وهبنا الله عز وجل نعمة عدم رؤيتهم، فلو رأيتهم لشاب شعر رأسك وتخدر جسدك عن الحركة !.

لم اكن بحالة جيدة فقط أحس بوهن أنفاسي التي تنخفض شيئا فشيئا كنت أشبه بتلك الفتاة التي تلفظ أنفاسها الأخيرة، فقط تشبث قلبي بخيط رفيع بتلك القوة التي وهبني الله إياها؛ لن يخذلني ربي ولن يدعني سجينة لعنة الظلام، كنت اجهل وجودي بينهم وما السر وراء ذلك، كل ما كان يشغل بالي هو ذلك السر الذي كثيرا ما تحدثت أمي تغريد مع أبي وانتهى الحوار بينهم في كل مرة هو أن أبي هو السبب في ما يحدث معي، لم يكن مرضي سببا طبي بل كل ما يحدث معي كان لعنة الظلام!

انسابت الأسئلة على عقلي حتى أصبح كالرحى دون أن يتوصل إلى ضالته.

من يكون ريمهان ؟!

ومن هي تلك السيدة الجميلة !.

ولما يطاردني !. وما سبب حبسه لي بين رفوف الظلام الدامس هل لأني انسية ؟!

ارتدى قميصه أسود اللون وبنطال جينز أزرق اللون؛ ربض أمام المرآة لبرهة وهو يمشط شعره بعد أن وضع جيل التثبيت الخاص به، أمسكت يده زجاجة البرفان ذات الماركة العالمية برائحة الياسمين فهو يعشق الياسمين كثيرا..

رائحته منعشة وتمده بطاقة إيجابية، فلم يكن ذلك الموعد كأي

مقابلة بل ما انتظره قلبه لأيام عديدة استدار وتوجه ناحية خزانة الأحذية وقف لبرهة يختار الحذاء الجلد المناسب مفاضلا بين الكوتشي الأسود وذاك الأبيض؛ او ذلك الحذاء الجلد ذات اللون البني او الأسود وأخيرا أمسكت يده الحذاء الجلد الأسود المطابق للون القميص الذي يرتديه فدائما يحرص على ارتداء ملابسه بدرجة من التميز والتماثل، كان ذلك يترك أثره على شخصيته الهادئة وأحيانا الرزينة حين فرغ من ارتداء حذاءه الجلد الملمع. توجه ناحية التسريحة مرة أخرى وظل يعيد ترتيب خصلات شعره الناعم وهو يتأمل ملامحه للمرة الأخيرة قبل أن يرحل استدار ناحية الخزانة الخشبية وأخرج ملف أزرق اللون، دقق النظر فيه لبرهة وهو يقلب صفحاته ووضعه في حقيبة يده توجه نحو باب غرفته، وقام بفتحه وقبل أن تطأ قدماه عتبة الغرفة نحو الخارج؛ شرد لبرهة وعاد للداخل مرة أخرى، وأخرج هاتفه الخلوي من رف المنضدة العلوي واخذ مفاتيح سيارته الموضوعة أعلى المنضدة وتوجه للخارج، اقترب من امه التي تجلس أمام التلفاز وطبع قبلته على جبينها قائلا: ادعيلي يا ست الكل انا عندي مقابلة مهمة النها ردة مع حد مهم جدا.

ارتسمت على ثغرها ابتسامة خفيفة قائلة: هو الحد ده يا هاني يبدو إنه غالي عندك اوي.

نظر إليها خجلا مع ابتسامة بارزة وأكيد محظوظ جدا عشان هيشوف ابتسامتك الجميلة دي اللي افتقدناها من شهور!.

ـ يووووووه يا امي انتي دايما كدا حرقة مفاجآتي عموما قريبا هعرفكم عليه؛ يلا بقا يا ست الكل انا لازم امشي عشان تأخرت اوي .

كانت عيناها تراقبه وهو مهرول نحو الخارج والسعادة تغمر قلبها وملامحها، فهي مثل كل ام لم تتمنى من الدنيا سوى رؤية السعادة في حياة أولادها، رمت بصرها نحو التلفاز وهي تشعر بالراحة والمزاج الجيد؛ وأخيرا خرج هاني من خلوته يبدو أنه يعيش قصة حب جديدة، الحمد لله إنه قدر يتغلب على الظروف وقدر ينسى نسرين .صعد هاني داخل سيارته الفخمة واستدار بها من أمام منزل والديه وتوجه بها إلى " كافي سنوريتا " لقد شهد هذا المكان قصة حب كبيرة بينه وبين حبيبته نسرين التي لم تغب عن باله للحظة فكثيرا ما كان يتردد على ذلك المكان ويجلس بذات الطاولة التي كثيرا ما جلسوا فيها سويا وهم يخططون لحياتهم الزوجية بسعادة عارمة، لقد حفظ ذلك المكان ملامحها الجميلة وأصبح بيته الذي كلما ضاقت نفسه هرول إليه ليستعيد ما رحل عنه ولو كان بصيص أمل بل ولو كان وهم . كيف حال قلوبكم ؟!

هل ما زلت تصارع ندبات الحب المسمومة ؟!

يبدو أن رحلتنا واحدة فنحن أيضا ضحايا الحب الذي جمع وفرق !.

هل مازلتم على العهد ؟!

ام أن قلوبكم هرولت نحو دروب النسيان؟.

لا بأس ومن منا يستطيع التخلي عن ماضيه !. لن نستطيع بتاتا .

الإنسان بدون ماضي يكون فاقد لهويته ليس تلك الفيزا الورقية، بل اقصد ذلك التاريخ الذي سجلته طوال حياتك منذ الصغر سيكون سيرة ذاتية، بل وكيان هذا هو ارثك .. وجب عليك ان تحسن تدوينه فربما تهرول إليه يوما ما .

بعد ٣٠ دقيقة

ظل ماضيها يناسب على عقلها العقيم وهي محبوسة بين دائرة من الأسئلة، ما أجمل هذا اللقب الذي حصلت عليه من مجتمع لو علم سوء أفعالها لحصلت على الصدارة في سيدة الأحداث وقائدة

عصابة المافيا .

لم تتناسب أفعالها بتاتا مع ذلك القلب الحنون لقد اصبحت اما وزوجة..

ولكن كيف لها أن تمحي ذلك العتمة التي اصطبغت بها حياتها !.

كيف لها أن تعيد تسنيم ؟!

كيف لها أن تبصر أروقة النور التي حجبت عن عينيها منذ أن وطأة قدماها دروب الغير مستباح !.

كيف لها أن تتخلص من ضجيج روحها التي أصبحت واهنة، حتى زوجها الذي أحبته بل زوج أختها أمير لقد حصلت أخيرا على حبها الذي طالما تمنته؛ لقد ترك عالمها والتهمه وكر الكيف والمزاج !. ماذا فعلت لتجني كل تلك الخيبات ؟.

لم تكن أكثر حظا من تلك الأرملة التي فقدت زوجها وتركها تعاني مرارة الحياة بمفردها.. بدون الرجال لن نستطيع تحمل عبئ الحياة وصدماتها !. وهما أيضا ليس بوسعهم العيش بدون النساء كلانا مكملون لبعضنا لبعض.. تلك هي حكمة ربي عز وجل .

ما أصعب حديث الروح الذي أشبه بحرب ثأرية تحرق اليابس والأخضر!.

لسنا جميعنا ملائكة بل الملاك هو ذلك الذي يخطئ ويتوب.

لا تجعل قدماك ثابتة في أرض جف من الماء وترك العطش على وجهها تجاعيد الاحتياج سر للأمام بخطى سريعة لعلك تستنجد بغفران يذكر . كن كظلك يضفي يترك الجميل أينما ذهب .

لا تكن كمن فقد بصره إثر مشروب الخمر الفاسد الذي زجه بالظلام .

تحسس طريقك قبل أن تتعثر قدماك ربما لن تجد من يكن عونا لك حينها؛ اجعل عقلك متيقظ لغد لذلك الحلم، مهما ارتطمت قدماك بآلام الواقع. انهض واجعل خطواتك ثابتة رغم الوحل الذي يحيط بك لن تقهر قوتك طالما عزمت المسير.

جميعنا بداخلنا الفوضى المتهالكة، فوضى الفقد والحرمان، فوضى النسيان، فوضى المستقبل فوضى العشق، فوضى الأحلام!. على إثر تلك النجمة الليلية الهادئة تفتح أبواب المدينة لتحلق حطام أمانينا نحو نوافذنا؛ بل إلى أرواحنا التي اتعبها التمني تنساب الذاكرة بين فاقد للوعي، وسكير بين مشتاق، ومظلوم بين عاشق، ومحروم!. يعم الصمت أرواحنا حتى تستكين وتشاهد شريط حياتها بعينان شاخصتان وصمت مطبق ودموع حارة.. كلا منا له عالمه الذي يطوف داخله كل مساء.

كن متيقن انه لا مفر من الفناء، ولكن حقق ما سعيت لأجله، لا تكن كمن زرع الشر فحصد الخسران؛ كن كتلك الشمعة التي نلجأ إليها كلما ادركتنا العتمة ستكون حياتك نعيم.. تتشابه افعالنا احيانا ولكن تختلف النتائج هناك خطأ عمدي، وآخر غير مقصود ذلك الأخير هو هين .اما الخطأ العمدي فهو أشد خطورة قد نرتكب جرائم عدة ونهرول بعد فترة من الزمن نحو الندم نريد أن نعوض ما خسرناه؛ بل ما فعلناه ولكن حينها لن يكون هناك فرصة سوى الامتثال والتعايش مع الواقع الذي شكلته أيدينا إثر أفعالها !.

انسابت دموعها الحارة على وجنتيها وهي تكابد نار جرمها الذي خبأته هي وزوجها أمير منذ خمسة سنوات ولكن ما يقتلها ويجعلها تحس بالوهن هو ذلك الاشتياق الذي كلما رمت بصرها في عينيا أمير رأته، لم ينسى تنسيم يوما؛ ذلك العالم الذي ينغمس داخله مع زجاجته الزرقاء وسيجارة النيكوتين لم تنسيه تسنيم بل أحلامه التي كلما خلد للنوم وفاق فجأة ينادي " تسنيم " لقد كان أكثر اخلاصا مني لها !.

(مكتبة لبيع الكتب)

(صالة جيم كمال اجسام)

(ستوديو تصوير افريكانو)

(محل ملابس ماركة عالمية ريكو)

بجانبها بناية رقم خمسة لصاحبها الحاج يعقوب؛ شقة بالدور الثالث مكونة من ثلاث غرف وصالون ومطبخ ومرحاض، خرجت من غرفة نومها على اليمين؛ بعد أن ارتدت شميز كشمير اللون وجيبة سوداء وحقيبة يد زيتي اللون وحذاء جلد ذات كعب عالي تبدو على ملامحها فتاة عشرينية وضعت هاتفها الخلوي في الحقيبة وبعض النقود الورقية فئة المائة، وتوجهت إلى الخارج بعد أن طبعت قبلتها على جبين أبنها إسلام الذي لم يتجاوز الخمس سنوات، أشارت بيدها إلى الخادمة ودنت منها بصوت هامس قائلة: ماتنسيش تأكليه قبل ما ينام يا رضوى انا مش هتأخر.

اومأت الخادمة رضوى برأسها بالموافقة وامسكت إسلام من يده ودلفت به إلى غرفته..

توجهت خلود إلى الخارج مع ابتسامة خفيفة، فتحت باب الشقة وبعد أن خرجت اغلقته خلفها وهرولت نحو الشارع، أشارت بيدها للحارس بعد أن ارتدت نظارتها الشمسية قائلة: اذيك يا عم مصطفى .

أشار لها بيده مع ابتسامة عريضة قائلا : الحمد لله يا ست هانم نحمد ربنا؛ أوقف لحضرتك تاكسي يا أستاذة خلود ؟!

_ اجابته بلغة هادئة وهي تبحث في حقيبة يدها قائلة: والله يبقى كتر خيرك يا عم مصطفى لأني مستعجلة جدا.

هرول مسرعا نحو الرصيف وهو يراقب العربات المارة من ذات الطريق العام إلى أن تمكن أخيرا من عربة أجرة وقام بفتح الباب سريعا وأشار بيده قائلا: اتفضلي يا أستاذة خلود في سلام الله

صعدت في الكبينة الخلفية وأشارت بيدها لعم مصطفى، وتحدثت الى السائق قائلة: اطلع يا اسطى كافي سنوريتا.

تنهدت قليلا وأجابت بكلمات مقتضبة قائلة : انت خلاص مسافر يا مجدي يعني مش هقدر اشوفك تاني ؟!

_ انتي عجيبة اوي يا روان ده كنت هتجنن عشان اقابلك واسلم عليكي وانتي ولا هنا!.

أيوة يا ستي خلاص انا في طريقي للمطار طيارتي قدمها ساعتين بإذن الله.

انا بجد زعلانة اوي يا مجدي اذاي مش هشوفك غير بعد سنتين ياااااااه بجد ده ظلم.

بس الحاجة اللي مريحاني دلوقتي إنك لغيت فكرة إنك تسافر بحري دي لأن البحر غدار اوي يا مجدي .

ارتسم على ثغره ابتسامة باهتة قائلا: اطمني يا روان ربنا يسترها بإذن الله.

اهم حاجة خلي بالك من نفسك وانا هكلمك من الخط الجديد السعودي بإذن الله.

حاول إنهاء المكالمة معها سريعا حتى لا تكشف احباله الصوتية المختنقة ضعفه أمامها، حين أغلق الهاتف انسابت دموعها على وجنتيها تذكرت؛ حين احتدم الخلاف بينها هي وصديقتها سوزان طبقا لوجهة نظرهم الصارمة، حينها كانت سوزان ترى ان الحب هو الحياة " ليس بإمكاننا العيش بدونه!.

فهو مرض إذا أصاب صاحبه جعله مجنونا متيم بمعشوقه، لا يأبه لشيء حوله يتناسى الجميع، يركد خلف اميرته نحو قلعة الأحلام لترتشف قطرة الخلود حتى تظل أسيرة حبه مدى الحياة..

الحب هو نور الظلام، وذاك الدبدوب الأحمر، وقصيدة شعرية في نجمة الفجر الهادئة.

وضعت روان يدها على وجنتيها وأجابت بلغة ساخرة: إيه التفكير السطحي ده يا سوزان.

انتي محتاجة لدكتور نفساني بجد حالتك صعبة !.

_ على فكرة يا ست روان مش هتعرفي قيمة كلامي ده إلا لما تقعي لشوشتك وتصابي بداء الحب؛ يومها هتكوني من غير عقل وترفرفي ذي العصافير في السماء.

_ انتي مخطئة يا سوزان هناك أشياء كثيرة أجمل وأسمى من الحب الذي تتحدثين عنه، ابحثي على مواقع التواصل الاجتماعي هتلاقي الكثير من عشاق الحب، ولكن أين ذلك الحب الذي تتحدثين عنه بمجتمع أصبح يتاجر بالمشاعر ؟!

حتى مدينة الأحلام هذه مجرد أكذوبة للهروب من الواقع المرير، وحياة الفشل المنغمسون فيها!.

لا تنقادي خلف هذه التفاهات يا سوزان " تريدين أن تلمسي الشمس وانتي تقفين على حافة البركان: إنها مجازفة يا عزيزتي !.

الجميع يهرولون نحو مدينة الأحلام الزائفة، خلف تلك الشاشات الإلكترونية هربا من الارتطام بواقع تسوده الفوضى لقد أصبحت السوشيل ميديا طوفان يقضي على حياتنا ويحبس ضحاياه بعالم الشيزوفرانيا بين واقع تسوده الفوضى، وبين مدينة أحلام زائفة !.

الوحدة هي خير دليل " أفضل كثيرا من حلم وهمي لن يدوم طويلا" أسوار الحب قصيرة ولن تتوانى رياح الشتاء العابثة عن هدمها سريعا كوني أكثر وعيا وذكاء يا سوزان ليس الحب بطل أحلامنا بل هناك الأفضل على الإطلاق ذلك الأمل الذي يغفو على نافذتك كل صباح تلك الحياة التي ربما ليس أمامنا الكثير ولكن وجب عليكي ان تتركي تاريخك الذي سيكون ارثك حين تخلد روحك بين فضاء الخالدين.

الحب بقى وسيلة للتعارف والتسلية في مجتمعاتنا؛ حتى نستروح عن أنفسنا الفراغ الذي اجتاح حياتنا بفعل البطالة مصر بقت من الدول الرائدة؛ بل والأولى طبقا لإحصائيات نسبة الطلاق بها تصل نسبة الطلاق في 4 MINUTES من ١:٣ حالة طلاق، وفي كل عام تتصاعد فيه نسبة الطلاق برقم قياسي نظرا لانخفاض نسبة الزواج؛ مع تزايد الأسعار والغلاء وانهيار الاقتصاد بسبب تزايد عدد السكان وكمان السوشيل ميديا ليها دورها الملحوظ في انهيار وتفكك الأسرة المعاصرة؛ بسبب عدة أسباب منها محاولة مقارنة الزوج لزوجته بالفنانات العالميات.

وأيضا لم ننسى دور الزوجة في الملحوظ في الاهتمام بالتسوق والتنزه وزيادة عبئ متطلباتها على عاتق الزوج. جميعنا ساهمنا في انهيار الأسرة وانحدارها إلى الهاوية!. ماذا لو ظلت الزوجة مطيعة لزوجها، وحاولت أن تخفف عبئ متطلباتها على كاهل الزوج. وأيضا لو ظل الزوج يحترم زوجته كما ينبغي؛ ويقدر حجم مسئوليتها في عبئ المنزل ورعاية أولاده، ومحاولة الاكتفاء بها دون غيرها حينها لن يكون هناك خلافات زوجية او صراعات، ولن تتكدس ساحات محاكم الأسرة بقضايا الطلاق والخلع على ما نراه اليوم!.

ـ وجهة نظر مقبولة يا روان؛ ولكن لا تبرري لي إنك بسبب تفاقم قضايا الطلاق وكثرة الصراعات الزوجية إنك قررت العيش بدون الحب!. إن ما تتحدثين عنه ليس مشكلة بلد بعينها بل مشكلة أمة ومجتمع بجميع لغاته وجنسياته، ليس كل جميع قصص الحب كما تقولين .انظري لذلك الجانب المضيء لا تجعلي قدماك تهرول نحو العتمة التي ستهوى بكي في عالم منعزل لن تفوقي

منه إلا بذاك الكهف الذي يشيدونه الأطباء النفسيين !.

ـ لن تقنعيني بكلامك يا سوزان؛ ولن يحدث ما تريدينه، ولن أدع قلبي بيد ذلك المجهول، وإن حدث ذلك فسأغلق الباب في وجهه للأبد، لا أريد أن اخاطر بذاتي .

جميعنا أصبحنا نألف لمدينة الأحلام الخاصة بنا !.

ولكن إلى متى سنظل ننساق خلف تلك الاكذوبة التي تشيدها أفكارنا وتصدقها أعيننا ؟!

ظلت كل واحدة منهم تحتفظ بوجهة نظرها، ولكن هل ستغير روان وجهة نظرها اتجاه الحب ؟!

مازلنا نتعلم الدروس التي لم نتقنها بالمدارس، بل لم تكتب في تلك الكتب التي جعلتنا ندمن قراءتها كم كانت دروس الحياة قاسية جعلتنا نتوه عبر دوائر الأسئلة التي لا نهاية لها ..مهما نضجت عقولنا فلن تستطيع الوصول إلى ضالتها، إلى الحكمة.. إلى الوسيلة، ولو تعددت مفاتيحها سنخطئ لن نتقن الدروس سوى بالخطأ والعودة إلى ذات الطرق مرة أخرى، لن يكون النجاح حليفنا إلا إذا ذاقت أنفسنا مرارة الفشل. مازالت تلك الحكمة تتوسط عقولنا الآدمية المتهالكة، لن تحصل على المزيد من المعرفة إلا إذا خضت التجارب والبحث الذي هو مرشدك نحو التعلم دروب العلم متعددة، لك حرية الاختيار والمفاضلة، اما دروب الفشل فهي فريدة رغم عدم توافرها بكثرة إلا إنها خطوط حمراء، تلون حياة كل من وطأة قدماه دروب التعلم فهي ذلك الداء الذي لن تحصل على الدواء إلا بواسطة دروبه، لم تكن أحلامنا أكثر واقعا من أمل هرولت روحي نحوه !.

لن ينطفئ حلما كان صاحبه قوي الإرادة، من منا لا يريد أن يحظى بتلك اللحظة بذاك الحب الذي يطفئ لهيب الضلوع، والفوضى العارمة التي جعلت أرواحنا واهنة.. تريد أن تبحث عن أمل من العدم ولكننا نخشى المجازفة في دروب الحب لن تدوم عتمة واقع

أغلق قلبا بقفل عتيق!. ولكن ليس باستطاعتنا أن نكون حائل أمام حكمة القدر الذي شاء واحببتك !.

كانت صدفة لم أحسب لها حساب !.

كيف غيرت نظرتي للحياة ؟!

كيف وقعت في بؤرة الحب هكذا ؟!

كيف غيرت مبادئ منذ أن رأيتك ؟!

حين وطأة قدماها عتبة الكافي، اصطدمت عيناها به جالسا على المنضدة وهو شارد الذهن قليلا اضطرب قلبها وكأنها تستعد للقاء مصيري؛ اقتربت منه بخطوات متباطئة وعيناها تتأمل أدق تفاصيله إلى أن وقفت بجانبه ودنت منه بصوت هامس قائلة: عمت مساء يا هاني بيه.

انتفض من مقعده مرتسما على ثغره ابتسامة عريضة وأردف قائلا: مساء الورد يا أستاذة خلود بجد انا سعيد للغاية لأنك قبلتي دعوتي البسيطة.

ابتسمت خجلا ورمت بصرها بالأرض. أمسك الكرسي وازاحه جانبا حتى جلست، استدار هو وجلس بالكرسي المقابل لها وجلس وهو يتأمل ملامحها خفية.. كلما نظرت إليه رمى بصره جانبا كانت عيناه تترجم حبه لها واهتمامه البارز الذي يخفيه بين ضلوعه. أشار للجرسون بيده طلب منه قهوة سادة وبعدها أمسك حقيبة يده سوداء اللون وقام بفتحها وأخرج ملف أزرق اللون ووضع الحقيبة جانبا ظل يدقق النظر فيه لبرهة، زم شفتيه

ونظر إليها، ورائحة الدخان المنبعثة من فمه تفوح المكان من إثر التبغ مستفهما : انا كنت عاوز اسأل حضرتك في بعض التفاصيل يا أستاذة خلود بخصوص قضية الدالي جوزك ؟

ارتشفت القليل من عصير البرتقال، نظرت إليه بتمعن وكلها آذان صاغية، أومأت برأسها بالموافقة: ثم تابع حديثه قائلا : انتي بتقولي إنك اتجوزتيه في السر بناء على ورقة عرفية. وبعدها بشهر حملتي بابنك إسلام في ذات الوقت اللي كان هو فيه مسافر خارج القاهرة، مع مراته الأولى اللي هي تقريبا بنت عمه !. بس الغريب في الموضوع ده إنه ما انكرش ابنه وفرح جدا بخبر إنك حامل. والغريب إن بناء على كلامه في المحكمة إنه عاوز يرجعك ليه ومستعد ينسب ابنه أسامة ليه!.

وضعت يدها على وجنتيها واليد الأخرى ممسكة بمنديل ورقي وتحدثت اليه قائلة: انا هكون صريحة معاك يا هاني بيه .

_جوازي من الدالي كان رغم عني بناء على ظروفي الصعبة كنت فاكره إن الجواز حياة تانية حياة جميلة مرحة مفعمة بالسعادة والإيجابية؛ بس لما قبلت أتجوز الدالي عشت بناء على قوانينه الصارمة كل حاجة عنده بحساب كل غلطة بتمن!. بقيت مسجونة بين اربع حيطان، كنت في أعز احتياجي ليه كنت محتاجة وجوده جنبي؛ بس للأسف كان كل همه مشاريعه الخاصة وأعماله ومراته زيزي هانم!. بعدها ما بقاش بأيدي غير إني

اطلب الطلاق واعيش انا وابني لوحدنا لأنه في الأول والاخير وجوده في حياتنا ذي عدمه، عشان كدا لجأت ليك انت سيرتك وسمعتك سابقة

في كل مكان؛ وانت الشخص الوحيد اللي هتقدر تترافع في القضية، لأنه بنفوذه يقدر يعمل أي حاجة.

ظل يرتشف بين الفنية والأخرى فنجان قهوته وهو يصغي لها بكل جوارحه؛ قطع الوسع من الصمت بكلمات مقتضبة: قائلا: اطمني يا خلود هانم انا مش هسيب القضية دي اهم حاجة إنك تخلي بالك من إسلام ابنك، وحاولي تغيري عنوانك؛ ويفضل إنك تسكني في مكان تاني بعيد عن التجمع الخامس ده افضل ليكي ولإسلام، اما من ناحية القضية فانتي كسبناها من دلوقتي واعتبري ده وعد من النها ردة.

ارتسمت على ثغرها ابتسامة خفيفة قائلة: انا محظوظة جدا بمعرفة حضرتك يا هاني بيه.

قامت من مقعدها واعقبها هو بعد أن وضع ورقة نقدية فئة الخمسون جنيها على المنضدة، وأشار بيده إليها واتجهوا نحو الخارج، وهما يسيران بخطوات متباطئة.. حين وصل إلى السيارة خارج (الكافيه) نظر إليها بنظرات الخجل قائلا: لو تحبي اوصل حضرتك يا أستاذة خلود هيكون شرف عظيم ليا طبعا لأن طريقنا واحدة.

نظرت إليه بخجل وبعدها رمت بصرها سريعا بالأرض قائلة: متشكره جدا يا هاني بيه انا هاخد تاكسي.

_اجابها بلغة هادئة : انا هكون سعيد جدا لو قبلتي اوصلك وبعدين طريقنا واحد انا كمان ساكن في المجمع الخامس ومش بعيدة نكون جيران !.

اومأت برأسها بالموافقة .

فتح باب سيارته ذات اللون الرمادي حتى صعدت بالمقعد الأمامي بجواره وبعدها أغلق الباب وتوجه ناحية اليمين، وصعد في السيارة وقام بتشغيلها، واستدار وتوجه ناحية الشمال مباشرة.

هل بإمكاننا استبدال من عشقناهم باخرين؛ حين تكون ضحية احدهم، هل ستبحث عن من يكون لك عونا وسند ام ستكتفي بالعيش مع حفنة ذكريات تركها لك، قد لا تكون كافية لتسد حدة الاشتياق وتكون معينا لك في نجمة الفجر الدافئة، قد لا تعوض رحيلها ولكنها تبطئ شغف قلب متيم به..

كان قلبه مغمور بالسعادة فلم يشعر بذلك الإحساس منذ أن رحلت عنه حبيبته نسرين وجعلته يعاني مرارة الاشتياق رغم إنه لم يتوانى عن الوقوف بجانبها، رغم مرضها المستعصي إلا إن ذلك جعلها تبتعد عنه لأجله. ذلك الحب الذي وهبها إياه لم يكن بنظرها سوى عطف ورأفة؛ كانت تكره انكسارها ومرضها الذي جعلها تعاني الضعف والوهن لم تكن قوية بما يكفي لم تكن واثقة بقدر

حبه واهتمامه لها، لن ينسى تلك اللحظة التي اجهزت على قلبه وجعلته يعاني مرارة الفراق كان قرارها يخلو من العدل رغم أنها تحبه؛ إلا إنها اختارت الرحيل والعيش بعيدا عنه.

تعجبت من طباع البشر كثيرا، نبحث عن الحب ونحن نخوض صراعات الحياة اللامتناهية بين ظلمة الليل وشمس النهار ولو صدفة عابرة تجمعنا بعشيق بل مرافق رحلتنا التي قد نكون ضحايا وقد نكون منتصرين نحتاج لتلك الأيد الدافئة التي تمسك بمعصمنا لنعبر سويا تلك العتمة مع روح عابثة وقد تكون ضحية تفتقد طريق العودة لحياتها الأولى، لذلك الحلم، بل لشمس غد؛ لحلم كنا نظنه مستحيل، بل كانت إرادتنا هي القوة الخفية رغم تعدد الدروب !.

لم يستطع نسيانها للحظة كم كانت مستبدة !.

فاق من شروده على صوت سائق الباص المتعجرف وهو يشير بيده لعله يفسح له الطريق، كانت خلود تراقب ملامحه ونظراته المنكسرة وهو يقود سيارته لم تكن تعلم ما يدور بداخله، سوى ذلك الوسع من الصمت الذي انتابه ظلت تنظر بجوالها وهي تنظر إليه بين الحين والأخر وكأنها تتساءل عن سبب شروده وملامحه الحزينة؛ قطع الوسع من الصمت بكلمات مقتضبة قائلا: احنا

خلاص قدمنا خمس دقائق بس يا خلود هانم ونوصل..

ارتسمت على ثغرها ابتسامة خفيفة، وأجابت بلغة هادئة: انا محتاجة اعرف عنك أكتر يا هاني بيه.

نظر إليها مطولا وهو تبدو على ملامحه علامات الخجل؛ تنهد قليلا وأجابها قائلا: ده شرف ليا يا خلود هانم بس دلوقتي مستعجل وعندي شغل في المكتب.

قاطعته قائلة: خلاص انا يشرفني انك تزورنا في البيت؛ وبالمرة تتعرف على إسلام ابني وتتغدى معانا بكرة الساعة واحدة الظهر.

أشار بيده مع ابتسامة خفيفة قائلا : بجد مفيش داعي للغدا انا هحاول اكلم حضرتك قبلها لأن بكرة عندي مرافعة في المحكمة..

_ يااااااه يعني مش هتيجي تشرفنا بجد إسلام هيفرح اوي بوجودك.

_نظر إليها بنظرات الخجل : حاضر أحاول يا خلود هانم وأخيرا وصلنا الحمد لله على سلامتك..

_أشارت بيدها له ونزلت من السيارة وهي تبدو على ملامحها علامات الخجل .

واستدار بسيارته وتوجه في طريقه ظلت تنظر إليه إلى حين أن اختفت السيارة، تنهدت قليلا واخرجت هاتفها الخلوي وظلت تبحث بين الأسماء المدرجة في هاتفها.. زمت شفتيها ووضعت

الجوال على اذنها اليمنى وانتظرت لبرهة، وبعدها أجابت بلغة حادة مع اقتضاب إحدى حاجبيها قائلة : انا نفذت البند الأول من الخطة ذي ما اتفقنا .

بعد ٦ اشهر

ارتدت فستانها أصفر اللون ذات حلقات وردية حمراء، وضعت القليل من أحمر الشفاه اعادت ترتيب خصلات شعرها صفراء اللون المتدلية على اهدابها العريضة؛ ارتدت أساور يدها الذهبية

أثنين باليد اليمنى واثنين باليسرى وحذاءها فضي اللون ذات الكعب العالي، وتلك العلامة الحمراء التي وضعتها على جبينها بين عيناها حتى تظهر كنجمات بوليود الهنديات، كم كانت مهوسة بهم !.

توجهت ناحية الخزانة، واخرجت الخاتم الأبيض الفضي المرصع بفص أزرق اللون دنت منه بصوت هامس قائلة: سيدي ريمهان ارتدته بإصبع يدها السبابة، توجهت نحو الخارج مرتسمة

على ثغرها ابتسامة باهتة، رمت بصرها هنا وهناك بعينان شاخصتان، ودلفت للأسفل بخطوات سريعة نحو غرفة تاليا فتحت باب غرفتها بهدوء، ودلفت للداخل وأغلقت خلفها الباب، تمددت بجوارها وهي تغفو إثر الانتهاء من امتحان الفاينال، نهرتها بصوت مبحوح قائلة: استفيقي ايتها الانسية، وضعت اصبعها السبابة على وجهها وهي منغمسة بنوم عميق. كان جسدها أشبه بتمثال ظلت البرودة تعتلي أطراف اقدامها حتى جسدها، كانت عيناها شبه فائقتان؛ لم تستطع التحرك من سريرها فقط عيناها تتأمل تفاصيل

جسدها الذي تحول إلى هرة صفراء اللون ذات خطوط سوداء داكنة منذ ذلك اليوم لم تصح ذاكرتها من سبات عميق !.

ظل محمد يتصفح الجريدة وهو جالس بحديقة منزله وهو يرتشف فنجان قهوته؛ كانت عيناه تتطلع على كل الأخبار، ولكن عقله تسوده الفوضى التي خلفتها زوجته تغريد عن ميهرة، بات عقله كالرحى وقلبه مثقل بالأحزان راوده هاجس مريع، حين ظل سرب من الطيور السوداء تشبه الغربان تزقزق على أغصان الأشجار بجواره حاصره الماضي، وهو يقرع طبلة الأذن وذكريات

ميهرة تجتاح رأسه بدأ عليه الضيق، تنهد حين رآها تسبح في دماءها. ظل يشطح بتفكيره في تلابيب المنزل استفرغ الذكرى، إلى أن ارضى الليل سدوله، دلف إلى داخل المنزل؛ وتوجه

للأعلى مهرولا نحو غرفته بالطابق الثاني، اصطدمت عيناه بزوجته سيهام وهي تربض في مواجهة المرآة ظل يختلس النظر إليها دون بهمس بكلمة ورقد في سريره وهو يبتغي الرشاد !.

بعد ٥ سنوات كان لقاءها الأول بعد أن تزوجت، لم تستطع عيناها أن تكف عن رؤية تفاصيلها؛ لم تجد الحنان الذي افتقدته منذ سنوات سوى بأحضانها كم تمنت رؤيتها منذ زمن بعيد، دنت منها وطبعت قبلتها على وجنتيها وهي تشتاق لذلك الوجه الذي فقدته منذ سنوات، ظلت تكابد نار الوحدة ونار الفراق لم تستطع إخفاء الندبات القاتمة

التي خلفها السوط الجلد على جسدها الناعم، جعلها تعاني الضعف والوهن كانت تخفي تلك الندبات بثوبها الذي تلتحف به، جلسوا سويا بعد مرور خمسة سنوات كلا منهم في وادي آخر وحياة أخرى !.

نفترق رغما عنا نتحمل مسئوليات شتى ونحن نحتاج لمن يخفف عنا ألم الفراق والم الضعف والوهن كتلك العروس التي ربت في بيت اهلها؛ وحين أدركها الرشد وجب زفافها إلى بيت عائلة

أخرى لتحمل على كاهلها مسئوليات أكبر تفوق هذا الجسد الذي مازال يشتد عوده شيئا فشيئا ولكن وحدها هي من تعاني عبئ الحمل الذي ربض على عاتقها!. لن يشعر أحد بما أثقل كاهلها، لن

يشعر أحد بتلك الندبات التي تغير ملامحها من مراهقة إلى امرأة تحمل على كاهلها هموم جموع غفيرة تظل كالشمعة التي تنير حياتك في ظلام سحيق، وحين تسلك دروبها تلهمك

رؤية الطريق الذي عجزت قدماك عن السير فيه إلى أن يخفت ضوئها شيئا فشيئا فتصبح بقايا هالكة بين يديك؛ ذلك القنديل بل السرب من النجوم تشهد حكايات المساء الخالدة بين ضلوعك

الفاترة حب عشق فقد تضحية جميعهن متشابهات!. لتبدأ رحلتك مع نجمة الفجر الدافئة لتعاني مع ضوئها الخيبات !.

بعد أن بدلت ثيابها وارتدت روبها تركوزاي اللون خرجت من المرحاض لتجفف شعرها المجعد بني اللون توجهت ناحية التسريحة داخل غرفة النوم، وربضت أمام المرآة لبرهة وهي تجفف شعرها بالسيشوار، وظلت تتأمل ملامحها الزابلة، بعد أن فرغت من تصفيف شعرها قامت بتمشيطه ووضعت مشبك الشعر لتثبيته؛ وضعت كريم ملطف للبشرة، واستدارت وارتدت حذاء

بلاستيك ذات لون أسود. ظلت تتأمل البرواز الخشبي المعلق على الحائط وهي تحترق شوقا بعينان غائرتين وهما بثياب الزفاف، لم تستطع رمي بصرها عن ملامحه لبرهة وهي تتأمل وجهه الساكن

بين ملامحها منذ أن تزوجت لم تستطع نسيانه لبرهة واحدة؛ محدثة نفسها قائلة : واخيرا أتى اليوم الذي سأراك فيه يا أمير. كم كنت اتوقى لرؤية ذلك اليوم !.

فاضت دموعها الحارة وهي تقبض على ريح الشوق.. دلفت إليها تسنيم بابتسامة عريضة واحتضنتها ونهرتها بصوت هامس قائلة: يلا يا حبيبتي ريحي شوية قبل الفجر يا ريهام طبعت قبلة

على جبينها وخرجت متوجهة الى غرفتها؛ وهي تشعر بالطمأنينة والراحة في رؤية أختها الصغرى ريهام لقد كانت فتاتها المدللة رغم إنها تكبرها بثلاث أعوام إلا إنها تراها ابنتها التي ربت على يديها منذ وفاة والديهم إثر حادثة مرورية؛ لقد تركهما وحيدين بعد تزوجوا.

أغلقت تسنيم باب غرفتها ودنت من سريرها بجانب زوجها أمير الذي أحبته كثيرا ولكن لم يغب عن بالها حلمها الذي رجت من الله تحقيقه، وضعت رأسها على وسادتها؛ انسابت الأسئلة على

عقلها العقيم. وهي تغفو على نافذة الأمل الذي لم تفقده بتاتا، كانت ثقتها بالله لا متناهية؛ منذ سبعة سنوات كم تمنت ذلك الحلم لترسم الابتسامة على ملامحه الشقراء، كان يعلم أن ليس باستطاعته تغير قدره ولكن مهما حاول اقناعها برضائه عنها وسعادته معها فلم تستطع ملامحه إخفاء ذلك الحزن الذي يجتاح ضلوعه .

ومن منا لا يتمنى تخليد اسمه بواسطة وريث له يكون سندا وعونا له في الحياة !. حتى تلك الأدوية لم تكن سوى مسكنات فاترة؛ لا فائدة منها، كم من مرة تراه يراقب أطفال الجيران وهما

يلهون أمام المنزل بوقت الظهيرة، كانت عيناه تملئهما السعادة وهو يتأمل ملامحهم البريئة واصواتهم المدوية التي تبعث السكينة والسعادة العارمة.

ظلت تكتم شهقاتها ودموعها الحارة التي تنساب على وجنتيها المشرقة، لم تنسى ذلك اليوم الذي ذهبت فيه إلى الطبيب خفية بدون علمه؛ حين أخبرها بأنها تعاني من الإصابة " بأورام ليفية في

الرحم " وهو سبب رئيسي في حرمانها من الإنجاب؛ وقع ذلك الكلام على مسمعها كالصاعقة لم تستطع قدماها أن تحملها وهي تعاني ألم الحرمان، فقط ذلك الحلم

الذي سيغمر حياتهما بالسعادة لم يكن بوسعها سوى الامتثال لحكمة القدر والتضرع إلى الله والدعاء بتحقيق ما سعت لأجله..

كلا منا له طاقة وقوة تحمل معينة تتفاوت من شخص لآخر، لم يستطع عقله الكف عن التفكير في طفل يحمل اسمه ربما لم يتبقى أمامه الكثير على ظهر الدنيا؛ ولكن كثيرا ما عجز لسانه عن إلقاء اللوم عليها فهو كان يعلم إنها ليس بيدها شيء سوى الامتثال لحكمة القدر.. مرت السنوات إلى أن

تعودوا على الوضع وهما يحبسان حلمهما داخلهم انشغل كلا منهم في عمله كان أمير يعمل محاسب بإحدى البنوك في منطقة المنوفية، اما تسنيم فكانت تعمل مدرسة ابتدائية كرست حياتها

لتعليم الأطفال والتقرب منهم فكانوا عوضا لها عن ذلك الحلم الذي ربضت سنوات بانتظاره..

ولكن لم تستطع التخلص من حديث الروح الذي يكون ضيفها كل مساء ليرهق روحها الواهنة ويجعلها تهرول نحو دروب الأمل بحثا عن حلما ضاع منها بين أروقة الأماني الراحلة.. لم تستطع

كبت الاشتياق لأن تكون اما لقطعة منها، لأن تلهو معه، كم توقت اذنها لسماع كلمة أمي ولو لمرة واحدة !.

لم تكن روحها قوية بما يكفي . ولكن لا بأس فالصبر عبادة وحياة الإنسان ليست كاملة بل وجب علينا الامتثال والرضى بما كتبه

الله لنا وبما وهبنا من نعم لا تعد ولا تحصى؛ ظلت تغمض عينيها بقوة لعلها تغفو على أمل لا ينتهي إلى أن أثقل النعاس عينيها .

استفاق من نومه العميق مساء أمس وهو يتثاوب بين الحين والأخر واضعا إحدى يديه على ثغره

نظر في ساعة يدها المعدنية ذات الجلد الأسود كانت حينذاك الثامنة صباحا اتكأ وانتفض من فراشه نظر إليها بنظرات الرأفة وهي تغفو بجواره استدار وارتدى حذاءه البلاستيك ذات اللون

البني الغامق أمسك الفوطة زرقاء اللون وتوجه ناحية المرحاض وهو عيناه مغلقتان باتساع بعد برهة يسيرة خرج شبه فائق وارتدى بنطال أسود وتشرت أبيض أسود ذات خطوط بيضاء

وتوجه خارج الغرفة ناحية المطبخ، تسرب الى مسمعه جلبة ضوضاء من المطبخ؛ التهمته الدهشة متسائلا عن ذلك الصوت المنبعث من الداخل ظل يختلس النظر بخطوات متباطئة.

اصطدمت عيناه بها وهي تعد وجبة الإفطار الدسمة مكونة، من خبز مجفف وبعض قطع الجبن الأبيض وبيض بالبستيرما وزيتون أسود وعصير برتقال، اقترب منها وهو يتأمل

ملامحها، حين انتبهت له كانت عيناها تستعطف ذراته. التي تغيرت كثيرا كما أن تلك التجاعيد التي توسطت ملامحه جعلته باهت كثيرا لم يستطع كلا منهم نسيان اللحظة الأولى التي جمعتهم صدفة حين كانت بذلك المتجر بعد أن تسوقت وهمت بإخراج حقيبة النقود الصغيرة من داخل حقيبة يدها، هرول نحوها ذلك

السارق الذي كان يشبه المتسولين وانتشل منها حقيبة النقود؛ حينها هرول نحوه جريا، وأمسك به وتمكن من إعادة حقيبة النقود لها، كان موقف يحتسب!. حينها ابتسمت له خجلا، ورمت بصرها بالأرض فلم تستطع أن توافيه حقه من الشكر والامتنان له على ما فعله معها، لقد كان حب من النظرة الأولى كان هو ذلك العاشق الذي وجد حبيبته التي ستغمر حياته سعادة كم كانت صدفة رائعة !.

انسابت دموعها الحارة على خدودها المخملية، وهما ينظران لبعضهما البعض؛ مد يده وهو يصافحها بصوت مبحوح قائلا : انا مش مصدق عنيا اني شفتك يا ريهام معقول بعد كل السنين دي

انتي قدام عنيا ؟!

_ نهرته بأحبال صوتية مختنقة بعد أن تنهدت قليلا قائلة : انا مقدرتش أنساك لحظة يا أمير برغم

مرور كل السنين دي .

_ نظر إليها مطولا بس انتي اتغيرتي اوي يا ريهام !.

نظرت إليه بنظرات منكسرة وبعدها توجهت ناحية الثلاجة وقامت بفتحها واخرجت منها علبة مربى المشمش، ودموعها تنساب على وجنتيها، تنفست الصعداء واجابته قائلة: انا كنت ضحية جديدة لجوزي نبيل يا أمير، انا كنت في نظره خدامة مش اكتر من كدا !.

والحمد لله اني قدرت اهرب من سجنه وكرباجه .

التهمته الدهشة، وحدثها مستفهما: انتي بتقولي إيه يا ريهام !.

معقولة يعاملك بالطريقة الوحشية دي ده اكيد مجنون !.

ـ واكتر من كدا يا أمير انا حمدت ربنا إني قدرت اهرب منه انا استحالة ارجعله تاني .

ـ بيت تسنيم هو بيتك يا ريهام انا استحالة اسمحلك ترجعي للحيوان ده تاني، احنا مانضمنش ده ممكن يعمل فيكي إيه تاني .ارتسمت على ثغرها ابتسامة باهتة؛ واومأت برأسها وأمسكت طبق الجبن والزيتون، وتوجهت بهما إلى الصالون وقامت بوضعهما على طاولة الإفطار، وتوجهت مرة أخرى للمطبخ، اصطدمت بأمير وهو ممسك بطبق البيض بالبستيرما وشوب عصير البرتقال ومتوجها بهما ناحية الطاولة. استدارت وتوجهت ناحية الشرفة، وقامت بإزاحة الستائر جانبا الحاجبة لأشعة الشمس، لتهوية الغرفة.

خرجت تسنيم من غرفتها وهي شبه فائقة ارتسمت على ثغرها ابتسامة عريضة ودنت من أختها الصغرى ريهام وطبعت قبلتها على جبينها وهي ترمي بصرها نحو زوجها أمير قائلة : شفت يا

أمير اليوم النها ردة جميل اوي ومختلف وأخيرا قدرت اشوف اختي بعد سنين !.

ابتسم لها خجلا وهو يتأمل ملامحها الشقراء واجابها باشتياق قائلا : انا كمان مبسوط إني شفت الابتسامة الجميلة على ملامحك يا تسنيم ربنا يخليكوا لبعض يا حبيبتي.

جلس أمير على الطاولة وأشار بيده إلى ريهام لتجلس اومأت برأسها بالموافقة وجلست بالمقعد المواجه له وجلست تسنيم بجواره وهما يتبادلون الحديث مع تناولهم وجبة الإفطار، بعد أن فرغا من وجبة الإفطار خرجت ريهام مع أختها تسنيم للتسوق والتنزه سويا اما أمير فجلس كعادته يتصفح جريدة الأخبار بالمنزل مع فنجان قهوته السادة؛ أرتدى نظارته الطبية وجلس، واضعا

إحدى قدماه على الأخرى وهو يدقق النظر بقراءة كل الأخبار في جريدة اليوم.

ارتدت ريهام عباءة سوداء تشبه الاسدال وحذاء جلد قصير الكعب وشال ازرق اللون.

اما تسنيم فهي نحيفة قليلا طويلة القامة بيضاء الوجه عيناها عسليتان ووجه نحيف ملامحها تشبه فتاة في الرابعة عشر من عمرها، تبدو ملامحها طفولية رغم أن عمرها يناهز خمسة وثلاثون عام.

اما أمير فكان يكبرها بعامان فقط، ارتدت جيبة ذات لون أسود وتشرت كشمير اللون وحذاء جلد بني اللون وشال أسود اللون، وخرجا سويا وهما يتسامرون، كانت تتأمل شوارع المنوفية وهي تغفو على ذكريات ماضيها الذي حرمها لذة الحياة والرفاهية ظلت ترمي بصرها هنا وهناك على محلات الملابس، ومحلات المجوهرات وهي تبتسم بين الفنية والأخرى!. أحيانا علينا مواجهة مخاوفنا حتى نرى جمال الجانب الآخر. كانت

تسنيم تشير احدي يديها على الاتجاهات والأماكن العامة لأختها الصغرى ريهام؛ لعلها ترشدها عن الحي السكني الذي يقطنان فيه كانت ريهام تومأ برأسها مع ابتسامة خفيفة وهي تتأمل المارين في الطريق والباعة وأصحاب المحلات، كانت عيناها تراه أينما تذهب، حاولت نسيانه لم يكن باستطاعتها ذلك، لقد خانتها المعاني حين ظنت أن البعد سيكون حلا صائبا لنسيانه؛ ولكن ما زادها البعد إلا تعلقا به أكثر .. ظلت تنظر لتسنيم خفية وهي تشعر بالضيق والخجل منها، كيف لها أن تعشق زوج أختها الكبرى تسنيم ؟! ليس لنا سلطة على الفؤاد، أحيانا ينتاب نفوسنا الضعف؛ ونحن نحاول العودة إلى تلك الحياة التي كانت من عدم، لن تتشابه ملامحنا، ولن نستطيع الحصول على عشق أبدي؛ كان دواء لروح أدمنت الحنين.

ما علينا سوى الامتثال لذلك الوهن والمضي قدما لعل تجاعيد الزمان تداوي ذلك الألم بالنسيان يتوجب علينا التضحية لمن هم اقرب إلينا من حلم تمنته الروح، لتجد الألفة والسعادة وربما الراحة التي هي لن تكون سوى ضمادة مؤقتة لحياة أخرى أبدية. نعود رغم ثبات أقدامنا التي ابت الرحيل، ليست الرفاهية في الوفرة من الملل، ربما تجدها بين رفوف التضحية بين ابتسامة احدهم بين حلما كان لك وحصل عليه الأقربون بين واقع تسوده العتمة، وكنت انت ذلك القنديل المضيء الذي أنار عتمة الطرقات بأمل طفيف.. لن يدوم طويلا حلما هرب منك بحثا عن بديل من المعروف به أن الدنيا او الزمن، لا يعطيك الكثير؛ بل كل ما تتمناه؛ وجب عليك التحدي وخوض الصراعات

والطرق الوعرة لتصل إلى القمة، لتنال السعادة، لتكون وريث ذلك الإرث لتحقق الأمل حتى تخرج من عتمة التمني إلى طريق الأمنيات، وجب أن ترتدي لباس الصبر والعزيمة لباس الحكمة، ولا تنسى أن تمسك بيدك اليمنى قوتك الروحانية إيمانك ذلك النور الذي ستعبر بواسطته جيوش الظلام بوابة الحارس المتمكن صاحب الدروع الفولاذية .

انتظر إن لم يكن معك وجب عليك ان تتقن نصائحه لك لتخوض صراع الفقد والحياة معا كن انت من ترهب عتمة الطرقات؛ كن حلما يغفو على نوافذ الأنامل ينتظر غد .

استفاقت من شرودها الذهني على صوت أختها تسنيم، نظرت إليها تسنيم بنظرات منكسرة ودنت منها بصوت هامس قائلة : انتي الوحيدة يا ريهام اللي بقيالي من الدنيا انا عشت طول الخمس سنين الماضيين في حالة ميؤوس منها.

اجابتها ريهام مقاطعة وتبدو على ملامحها علامات الخوف قائلة: مالك يا تسنيم انا اول مرة اشوفك ضعيفة كدا !.

تنهدت قليلا ورمت بصرها هنا وهناك وبعدها تنفست الصعداء اجابتها بأحبال صوتية مختنقة وهي تحبس دموعها التي باتت تعتلي جفونها انا في حياتي ما هكون أم يا ريهام، رمت بصرها بالأرض انسابت دموعها الحارة على وجنتيها؛ وتشهق بأنفاس مخنوقة.

دنت منها ريهام ممسكة بمعصمها محاولة التخفيف من آلمها بكلمات متقطعة قائلة :

معلش يا تسنيم دي حكمة ربنا وبعدين اكيد ده اختبار من ربنا عز وجل ليكي، وانا واثقة إنه مش هيحرمك من الخلف الصالح وطفل كيوت كدا.. يقولك يا ماما يا أجمل

وأرق ماما في الدنيا، وضعت يدها على وجنتيها، وهي تمسح دموعها المنسابة على وجهها واحتضنتها ونهرتها بصوت هامس اقولك حاجة انا هعزمك على أجمل آيس كريم فيكي يا بلد عشان خاطر عيونك يا تسنيم يلا بينا بأة .

ابتسمت تسنيم ابتسامة باهتة وهي تتأمل ملامح أختها ريهام بنظرات منكسرة .

كم مؤلم أن نشتهي السعادة وانت تحلق نحوها بجناحين يرفرفان بهمة عالية لن تعبث معك الرياح طالما غردت نحو الوديان بقوة !.

لن تبتر اجنحتك رياح الشتاء العابثة، إلا إذا فقدت أنفاسك بل

بصيرتك كن حرا؛ كمن التفت حول كفيه الأغلال فأبى أن يكبل، وحاول التخلص منها رغم ضعفه لن يجف عرق تضرعك بأمنيات تمنتها روحك .. اعلم ان أمس لم ينتهي، بل أعطاك دروس وربما مفاتيح الصبر التي ضاعت منا بسبب قلق النفس البشرية وضعف ذاتها، ربما تكون الرحلة طويلة تحلى بمزيد من العزيمة، واجعل مطاف رحلتك يغمرها قلب صلب يغزيه الإيمان ويقويه الصبر..

ولا تنسى اننا طوائف بشرية تهرول دون أن تؤنس وحدتها بنور البصيرة بصدق الاختبار بتعدد الوسيلة رغم إيمانها بغد؛ إلا أنها تفتقد خطوات الركود نحو الأمام، نحو دروب تنظر داخلها وطأة الأقدام ذلك العالم هو المنفى .

جميعنا يمتلك القدرة على النهوض، على المسير مع قنديل النجوم السماوية، مع نجمة ليلة دافئة مع غروب الشمس في وقت الشفق، لا مزيدا من الأعذار.. كن كمن عاش فترك تاريخ يضفي للعالم ابتكاره جميعنا صاحب رسالة فما فهي رسالتك الخاصة بك؟!

هل هي رحلة اكتشاف عن مكان الذات ؟!

ام ستكون صراع مع نكبات الحياة ؟!

ام ستكون انت ذلك البطل الذي شق طريقه مع أمل طفيف حتى تغلب على الخيبات ؟!

لن تكون صاحب تاريخ عريق إلا إذا تخطت قدماك دروب الجهل، وحلقت نحو فضاء السماء بعلم وامل لا يخيب.

كنت اظن ان الحياة معجزات، وان المعجزات تشبه الجواهر الثمينة التي لن يحصل عليها سوى صاحب النفوذ.. لن يستطيع ذلك الفقير الحصول على فرصة ذهبية ولو عاش قرون من الزمان؛ حينها كنت على خطأ لم يكن العلم سوى جوهرة ثمينة، ولكن نالها الفقير منذ زمن بعيد، كذلك الأمنيات هي منبع أحلامنا، بل ونور العتمة التي اصطبغت بها حياتنا، لن تنحني اوصالك يوما طالما هناك تاريخ يخلد لك؛ كن كمن عاش فقيرا ومات ثريا لن تترك مكانك خاليا بعد الممات ستظل ما سعيت لأجله هو ارثك الذي لن تمحيه عاصفة الشتاء .

ظلت تقرأ غلاف المجلة بصعوبة كبيرة وكأنها تحاول أن تصعد سلم العالم الذي عجزت عنه منذ سنوات لم يكن عذرها هو لأنها فاشلة بل لأنها أحبته بكل صدق كان حلمها

الذي لا حلم بعده كان في نظرها هو الحياة المغمورة بالسعادة ومن مثلها!. لقد كانت أكثر حظا بالزواج منه، حتى إن ذلك جعلها تمتنع عن حلمها الذي سعت لأجله كثيرا؛ أن تحصل على شهادة جامعية ولكن رغم مرور السنوات..

إلا أن أرواحنا لا تنسى عشق تغذت على إثره الروح الهائمة !.

دلفت إليها بخطوات متباطئة، وهي ترتدي فستانها أزرق اللون وحذاء جلد ذات كعب عالي وخلخال ذهبي متعدد الحلقات كان صوت وقع اقدامها يتسرب إلى مسمعها وهي جالسة على الكرسي الهزاز وتتابع قراءة غلاف المجلة بكلمات متقطعة كأنها نست ربط الحروف ببعضها البعض لم تعد ذكية كالسابق فكثرة الهموم التي تعتلي كاهلها جعلتها تنسى ما ظلت أعوام تتعلمه ولكن لا بأس ستتابع الخطوات من جديد، اصطدمت عيناها بها وهي تقترب منها بابتسامة باهتة دنت منها وهي تجلس على الكرسي الهزاز وظلت تتأمل غلاف المجلة بطريقة مستفزة بعض الشيء وتتحسس الغلاف بأطراف أصابعها المطلية بمناكير أزرق اللون؛ لفت انتباه تغريد ذلك الخاتم الذي ترتديه سيهام بسبابتها الذي يبرق كلما نظرت إليه، وكأنه به قوة خارقة !.

نظرت إليها سيهام بخبث قائلة: الظاهر إنك بتحبي المغامرات يا تغريد والعجيب إنك بتقدري تربطي الأحداث القديمة والحديثة كمان !.

اعتدلت تغريد في جلستها وهي تبدو على ملامحها علامات الضيق وإحالتها مستفهمة:

انتي مش مكفيك إنك اخذتي جوزي محمد يا سيهام !. يعني انتي كدا منتصرة .

ابتسمت سيهام ابتسامة باهتة ورمت بصرها بالأرض وسريعا ما حولت نظرها نحو تغريد بخبث قائلة: انا قولتلك قبل كدا إن محمد هيكون خاتم في أيدي وأظن، انتي عدوي الأول والأخير هنا يا

تغريد وياريت من النها ردة ماتغلطيش وتسكبي الحليب مع الزيت، لأن ده مش في صالحك أبدأ يا ست الحسن .

التهمت تغريد الدهشة محدثة نفسها : اذاي سيهام عرفت إني بسكب اللبن مع الزيت !.

لم يشغل بال تغريد سوى لهجة سيهام الحادة التي كلما نظرت إليها، تحولت عيناها الزر قويتان للون أصفر هل هذه حيله لأخشاها ام أن هذه لينسيز لاصق بالعيون !.

هرولت نحو المطبخ لاهثة الأنفاس جف ريقها حين اصطدمت عيناها بتلك الهرة الملقاة على الأرض بجوار الإناء الفارغ من اللبن مع وجود بعض الخدوش والدماء التي تسيل منها، كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة وهي ممدودة على الأرض؛ وكأنها تسممت بفعل سكب الزيت مع الحليب هرولت إلى غرفة تاليا، فهي ليس من عادتها أن تظل نائمة كل هذا الوقت!. لقد شارفت الشمس على المغيب ارتجفت أعصابها، حين دنت من تاليا وهي تغفو على وسادتها، وعيناها شبه مغلقتان وضعت يدها على وجنتيها وهي تتحسس جسدها الذي أشبه بمدفأة حرارية، انتفضت من مقعدها وهرولت نحو الخارج توجهت داخل المطبخ، وفتحت الثلاجة أمسكت يدها زجاجة مياه باردة وتوجهت نحو حامل

الأطباق جلبت طبق أبيض اللون بلاستيك غويض قليلا وسكبت داخله القليل من الماء البارد وتوجهت مسرعة نحو غرفة تاليا، وضعت الطبق بجانبها على المنضدة وتوجهت نحو خزانتها الخشبية، وفتحت الخزانة ثم الدرج الخشبي، وامسكت فوطة صغيرة زرقاء اللون أغلقت الخزانة وتوجهت نحو الطبق، وضعت قطعة من الفوطة داخل الماء، وقامت بعصرها وسريعا ما وضعتها على جبينها.. كان الخوف يعبث بأعصابها على ابنتها الوحيدة تاليا فهي الشيء الوحيد الذي يربطها بزوجها محمد الذي أحبته بات عقلها مثقل بالأسئلة التي لا إجابات لها منذ أن وطأة أقدام سيهام عتبة المنزل، وهما ازدادت النكبات؛ ظلت تتحسس حرارة تاليا التي أصبحت تزداد شيئا فشيئا رغم الكمادات، لم تخفف من ارتفاع الحرارة، ألقت الفوطة جانبا، وهرولت نحو الخارج تعثرت قدماها وهي مهرولة لأعلى إلى الطابق الثاني لعلها تخبر محمد حتى يقلها للطبيب اصطدمت عيناها بسهام وهي تتحدث إلى خاتم يدها بصوت هامس وكأنها تفعل تعويذة ما!.

اقتربت منها وامسكت معصمها، استدارت سيهام ونظرت إلى تغريد بنظرات الضيق، تنهدت

تغريد قليلا وتنفست الصعداء قائلة: فين محمد يا سيهام تاليا تعبانة اوي وحرارتها مرتفعة !؟

ارتسمت سيهام على ثغرها ابتسامة باهتة، واومأت برأسها ودققت النظر بوجه تغريد واردفت قائلة بلهجة حادة : طبيعي يحصل معاها كدا بعد اللي إنتي عملتيه يا تغريد، بنتك لو ماتت هتكوني انتي السبب لأنها شربت الحليب بالزيت ليلة أمس .

التهمت تغريد الدهشة، وظلت تتصبب عرقا وهي تكاد تفقد أعصابها من سوء معاملة سيهام لها انتي بتقولي إيه !. انا تعمدت أضع حليب بالزيت عشان قطط الجيران اللي بتزعجنا كل مساء، وبعدين إنتي اذاي عرفتي إني بسكب اللبن مع الزيت !. على حد علمي إنك بتكوني نائمة في التوقيت ده يا سيهام!.

تبسمت بخبث ونظرت للخاتم الذي ترتديه بسبابتها ورمت بصرها سريعا نحو تغريد هو انا ماقولتلكيش ولا إيه !. انا ورثت الحدث القلبي من أختي الكبيرة بس هي حاليا متجوزة بره مصر في شيكاغو ..

أجابت تغريد مقاطعة سيهام إنتي هتحكيلي قصة حياتك؛ اوعي كدا ناديلي محمد جوزي لو سمحتي أعادت سيهام ادراجها للخلف، وأشارت بيدها بكبرياء للداخل حتى تدلف تغريد داخل غرفة النوم لترى محمد، اصطدمت عيناها به وهو جالس على كرسيه الهزاز وهو يغفو متكأ للأسفل .

هرولت نحوه جف ريقها حين رأته شاحب الوجه وكأنه يعاني مش مرض الزهايمر حاولت استفاقته بعد محاولات عدة وهي تنده عليه بصوت مبحوح، ويداها تمسك بمعصمه وتزحزح بجسده الملقى على كرسيه الهزاز إلى أن جف الدم من عروقها، رمت بصرها

على سيهام التي تقف بجوارها وكأنها تشاهد مسلسل ساخر وصوت ضحكاتها يدوي المكان، بعد برهة يسيرة استفاق محمد وهو يحبو على ركبتيه بحثا عن زجاجة الويسكي التي افقدته عقله.

لم يشعر بشيء حوله سوى بزخات من الماء تلطم وجهه تحول بصره نحوها ظلت شفاهه تضطرب بدون اتزان وهو يبحث عن رجولته المفقودة، حدق النظر في تغريد وهي تبكي مولولة على ابنتها تاليا، طفق يمسح بنظره أرضية الغرفة؛ نفض الغبار من ثيابه، وأجابها بلغة هادئة:

مالك يا تغريد فيه إيه ؟!

أشارت بيدها نحو الخارج وبعدها قطعت الوسع من الصمت بكلمات متقطعة: بنتك تاليا يا محمد حرارتها مرتفعة. انا قولتلك إن بنتي في خطر كله بسببك يا محمد .

اضطربت أعصابه، هرول نحو الأسفل وهو لاهث الأنفاس، ويكاد لا يأبه لشيء حوله سوى صوتها الهادئ الذي يتسرب إلى مسمعه أينما ذهب وتلك الكلمات التي لم يكد يسمع سواهم "

انا استحالة اسمحلك تجوز حد غيري يا محمد " .

ظل المشهد يسطع ويتكرر أمام عيناه وهي تسبح في دماءها جف ريقه حين، اصطدمت عيناه بابنته تاليا التي تشير بيدها ناحية الخزانة الخشبية في ركن الغرفة وهي ملقاه على سريرها أقترب

منها وظل يتحسس جسدها النحيل، وهو ينظر إلى ذات الركن ويدقق النظر؛ كان يتصبب عرقا تبعته زوجته تغريد التي لم تجف دموعها للبرهة .

اما سيهام فكانت تتلون كالحرباء فلم يكن سواها من تعلم سوء ما يحدث مع تاليا .

بعد مرور ٧ ساعات

كان يوما جميل مفعم بالإيجابية والسعادة والتعاون كان لحن صوته في اذنها كمن يعزف على البيانو الذي يذهب بنغمه إلى عالم الهدوء والسكينة مع ذكريات لا تموت أبدا، دلف إلى غرفة نومه وهو هادئ الروح يغفو على أمل اللقاء، كانت عيناه تراقبها من بين الجدران العتيقة يستمع لحديثها بنفس راضية وسعادة عارمة وكله آذان صاغية.. اشعل سيجارته وتوجهه ناحية الكاسيت وقام بتشغيل أغنية فيروز " بكتب اسمك يا حبيبي " وجلس على سريره وهو متكأ قليلا وعيناه تتأمل كل تفاصيل الغرفة بتمعن ليس حبا في الجدران المطلية بألوان زيتية وردية اللون مع لون كشمير

وهو يبتسم بين الفنية والأخرى* ظل منصت لنغم الأغنية

بكتب اسمك يا حبيبي عالحور العتيق* بكتب اسمك يا حبيبي عالرمل الطريق .

بكرة تشتي الدنيا عالقصص المجرحة * بيبقى اسمك يا حبيبي واسمي بينمحي .

بحكي عنك يا حبيبي لأهالي الحي * بحكي عنك يا حبيبي لنبعة المي .

ظل يعيد الذكريات أمام عينيه، وهو يبتسم بين الفنية والأخرى، وكأنه يستروح عن نفسه ألم الفراق الذي جعله يعاني طوال الخمس سنوات، كانت عيناه تتأمل كل جدران

الغرفة؛ وكأنه يهرب من ذلك الحب الذي استحوذ على قلبه، وجعله متيم بها حد الجنون، لم يستطع نسيانها منذ أن رآها جعلته يعود لماضي سيطر على حاضره وعاد لنقطة البداية مرة أخرى .

لما بيدور السهر تحت قناديل المسا * بيحكوا عنا يا حبيبي وانا بانتسي .

وهديتني وردة فرجيتا لصحابي * خبيتا بكتابي زرعتا بالمخدة .

هديتك مزهرية لا كنت تدوايها * ولا تعتني فيها تاضاعت الهدية .

ظل يقبض على ريح الشوق وهو يتذكرها حين تقدم لخطبتها وكان رد والدها حاد لقد عكس كل توقعاته كان يتوجب عليه أن يتزوج أختها تسنيم الكبرى، لم ينسى ذلك اليوم الذي تم فيه زفافه على تسنيم وهو يراقب دموع ريهام الحارة التي كانت تنساب على وجنتيها !.

كم كان يوما مؤلم حتى هو ظل يبتسم ابتسامة زائفة وهو يقبض على ريح الشوق والألم والفقد على ريهام.. لم تكن قسمة عادلة طوال هذه السنوات وهو يعاني مرارة الفقد والاشتياق؛ ولكن كيف له أن ينساها وهي الآن أمام بصره!.

لم يعد باستطاعته كبت حبه لها واهتمامه بها الذي باتت ملامحه تكشفها.

لفت إليه تسنيم وهي تتأمل ملامحه التي تغمرها السعادة، رمت بصرها ناحية الكاسيت وهي تصغي لنغم الأغنية وصوت فيروز الذي ينقلها لعالم الأحلام والهدوء وكلماتها

العذبة الممزوجة بإحساس مرهف يجعل العاشق يتوه عبر نغمها وصوتها الهادئ الجميل

..

وبتقولي بتحبني ما بتعرف قديش * ما زالك بتحبني ليش دخلك ليش .

بكتب إسمك يا حبيبي عالحور العتيق * بكتب إسمك يا حبيبي عالرمل الطريق .

ارتمت تسنيم باحتضانه وهو مغلق عيناه ويسبح مع نغم الأغنية التي خدرت الضجيج والفوضى

العارمة داخله حتى جعلته ينسجم مع الأغنية حتى الثمالة، وضع يده على معصمها تجرها نحوه بقوة وعيناه مغلقتان، نهرها بصوت هامس قائلا : وحشتيني اوي يا ريهام .

****

ظلت أناملها ترتجف وهي تحدق في صورته التذكارية التي اخذاها سويا في رحلة الغردقة التي

ذهبا بها سويا منذ أيام الجامعة، كانت شبه منهارة وهي تتحسس بيدها ملامحه الجميلة..

كم كان وسيم، تنهدت قليلا حين تذكرت آخر مقابلة لهم، حينها كانت باخر عام بالجامعة حين تقدم لها رجل أعمال معروف عن طريق عمها و زوجة عمها المستبدة صاحبة الصوت المبحوح لقد عانت كثيرا معهم منذ وفاة والديها، حينها كانت في عامها الثالث عشر. لم يبقى لها من عائلتها سوى عمها راضي وزوجته السمينة ذات الصوت

المبحوح ناريمان، لقد تحملا مسئوليتها إلى أن ذهبت للجامعة، كانت زوجة عمها تنهال عليها ضربا وسبا بأبشع العبارات كانت دائما ما تضعها محل مقارنة مع بنتها نورا عقيمة الفهم والتركيز، لم تنعم يوما باليد التي تحنو عليها وتكون دفئ صقيعها !. ظلت تعاني مرارة آلمه منذ أن تلحفت بوحدتها.

اما عمها فهي يخشى الخوض في جدال مع زوجته لأنه ضعيف الشخصية، يمتثل لكل اوامرها يخيل إلي إنه ذلك النقيب الذي ربض طوال حياته لخدمتها من تظن نفسها هي !؟

لم أستطع تنفس الصعداء ونعيم الحياة ووجهها الأخر، إلا حين رأيته وأصبحنا أصدقاء بذات الجامعة، بل وبذات التخصص؛ لقد تعمدت أن ادرس بكلية الألسن لا تعلمون مدى شغفي بدراسة اللغات بجميع فروعها، إنه حياة بل العشق الذي لا ينتهي لم اعتاد على الجلوس برفقة الشباب يوما ولكن منذ انتسابي للجامعة تعلمت الكثير بشأن العلاقات والصدقات وأصبح عقلي متفتح كثيرا لم انسى يوما حين كنت اخوض بمناقشة مع رفاقي الشباب وانا اشير والوح بيدي في السماء حتى اعبر عن وجهة نظري بقلب صلب ورؤية سليمة كان صوتي يعلو شيئا فشيئا حينها تناسيت أننا نقف أمام مركز الشرطة ونحن ننتظر الباص، حين رميت بصري هنا وهناك وجدت الجميع ينظرون إلي ويضحكون بهستيريا كنت أشبه بعضو البرلمان الذي يطالب رئيس البرلمان بمطالب

الشعب وبني مركزه حينها نهرني ضابط القسم بلغة حادة قائلا: ده مكان يستقبل أصحاب الخصوم مش مفتوح للمطالب يا آنسه.

أصفر وجهي وانا انظر إليه كنت أشبه بذلك الارجوز الذي قدم عرضه وحين نفر الجميع منه احس بالإحراج والكسرة، لم يكن سواه من كان ينظر إلي بنظرات تشبه أبطال بوليود، كانت عيناه

متسعتان بالحب والاهتمام، توجه نحوي وهو يرتدي قميص أبيض اللون وكوتشي أسود وبنطال جينز ازرق وتيشرت بلو ذات لون أسود أقترب مني وهو مرتسم على ثغره ابتسامة عريضة ونهرني بصوت هامس انا إسمي رامي، في كلية السن، وبجد انا عجبتني اوي شخصيتك الجريئة؛ بس خليني اقولك إنك شيء نادر جدا وبجد هكون محظوظ جدا لو بقينا أصدقاء .

ابتسمت خجلا ورمت بصرها بالأرض وسريعا ما اومأت برأسها بالموافقة تبسم هو وأشار بيده إلى الباص الموجود بالجهة المقابلة للرصيف قائلا: يبدو إنك بانتظار الباص انتي ساكنة فين ؟.

اجابته بكلمات متقطعة انا ساكنة في رمسيس يااااااه.. انتي بعيدة اوي عننا انا يا ستي ساكن في التجمع الخامس وبجد سعيد جدا اني قابلتك ومن بكرة الصبح هتلاقيني منتظرك في الجامعة.

ابتسمت خجلا ورمت بصرها نحو صاحب الباص الذي يصعق من حنجرته على جميع المارين متسائلا عن ذهابهم إلى رمسيس اجابته بلغة هادئة قائلا : انا كمان سعيدة بمعرفتك يا أستاذ رامي

انا هستأذن حضرتك لأني تأخرت اوي .

أومأ برأسه مع ابتسامة خفيفة على ثغره، وظل ينظر إليها إلى أن صعدت للباص .

اما هي فلم تحرك بصرها عنه وهو يضع يده على رأسه، وينظر إليها خفيه إلى أن شارف الباص على التحرك.

تنهدت قليلا ظلت تجفف دموعها حين طرقت رضوى باب غرفتها لتخبرها بشأن نوم ابنها إسلام، اجابتها خلود بأحبال صوتية مختنقة أن تطفئ ضوء الغرفة على إسلام وتذهب لترى ما ينتظرها من خدمة في الشقة وان تعد لها فنجان قهوة سادة؛ احتضنت الصورة وهي تقبض بكلتا يديها عليها وكأنها تقبض على ريح الشوق الذي خدر جسدها ألما واشتياق، استدارت وتوجهت ناحية الخزانة الخشبية التي بجهة اليسار في الغرفة، وفتحت الخزانة ببطء شديد، وكأنها تستعيد اللحظات الأخيرة بذاكرة هشة وضعت الصورة بداخل الرف الأول بجانب صندوق مجوهراتها وهي تتأملها بعمق و بصمت مطبق، لا يوجد سوى صوت أنفاسها المضطربة التي تعلو الغرفة وتترك خيمات الحزن الذي اجتاح حياتها منذ أن تزوجت، لم يكن حلما بل كان واقعها الذي رسماه سويا

وهرول بين قطار السفر الذي يتوه خلف أودية الوديان وتركها بين الزحام لتنتظره عبر محطات الانتظار !.

بعد ٧ ايام

استفاقت من نومها على صوت المنبه الذي يشبه وجه هرة أزرق اللون، نظرت في ساعة يدها وردية اللون انتفضت من مقعدها حين وجدتها الساعة السابعة والنصف صباحا ارتدت شبشب بلاستيك ذات لون أبيض، وهرولت مسرعة نحو المرحاض، ربضت أمام المرآة لبرهة وهي تتأمل وجهها الزابل وتتحسس أهدابها العريضة المتآكلة التي ترك السهر حولها هالة سوداء تشبه مدمني الخمر الذين اعتادوا على شرب الويسكي واستنشاق الهروين، هربا من الارتطام بنكبات واقعهم الذي اوقعهم في بؤرة الهلاك، اغدقت القليل من الماء الساخن من صنوبر الماء على وجهها لعلها تفوق قليلا فهي اشتاقت لرؤيته منذ آخر مرة قابلته فيها.. ولكن ما كان يشغل بالها هل هو اشتاق لرؤيتها بعد مرور كل هذه الأشهر لقد اخذته الغربة منها كثيرا حتى إنه أحب الاغتراب والبعد عنها ولكن، لا بأس فهو ليس بمقدوره مقابلتها يوميا، وجب عليها أن تبادر هي بالذهاب إليه والاطمئنان عليه مثل كل مرة، بعد أن فرغت من غسل وجهها؛ توجهت ناحية الغرفة وامسكت الفوطة حمراء اللون المعلقة على الشماعة الموضوعة بجانب خزانة الملابس حتى تجفف وجهها وضعت الفوطة جانبا، وتوجهت ناحية الخزانة الخشبية؛ واخرجت

فستان مزركش اسود اللون ذات حلقات بنية صغيرة وارتدت قلادتها فضية اللون على هيئة قلبان صغيران يفصلهما سهم الحب وهي إحدى هدياه لها، ربضت أمام المرآة لبرهة، وضعت القليل من أحمر الشفاه والقليل من برفان حبيبتي الذي يعشقه كثيرا، وارتدت شال اسود اللون حملت حقيبة يدها بنية اللون والحذاء الجلد ذات كعب عالي أسود اللون وهرولت نحو الخارج قبل أن تطأ قدماها عتبة المنزل للخارج ارتدت نظارتها الشمسية سوداء اللون وتأكدت من وجود خمس عملات الورقية فئة المائة جنيها أشارت بيدها الى سيارة أجرة وصعدت داخلها في الكابينة الخلفية: أجابت السائق بلغة هادئة على حي الوراق يا اسطى .

بعد نصف ساعة من السير بالسيارة وهي تنتظر رؤيته على احر من الجمر فليس باستطاعتها أن تنتظر أكثر من ذلك، وأخيرا توقف السائق، كان قلبها يرقص طربا من السعادة حين وطأة قدماه عتبة حي الوراق لم تستطع أن تصدق إنها ستراه بعد خمسة دقائق فقط كم مؤلم الانتظار..

قامت بإخراج عملة ورقية فئة خمسون جنيها واعطتها للسائق، وسريعا ما هرولت نحوه ..

حين اصطدمت عيناه بها ارتسم على ثغره ابتسامة عريضة وخرج من المحل وتوجه نحوها قائلا: انا كنت عارف إنك مش هتفوتي معاد النها ردة يا روان..

ابتسمت خجلا وسريعا ما حولت بصرها نحو بوكيه ورد الجوري واجابته قائلة : هو انا اقدر افوت يوم ذي ده يا عم آمين.. انت لحقت تجهز بوكيه الورد!. بجد انت معجزة ليا من ربنا.

استدار وأمسك بوكيه الورد قائلا: خدي يا ست الحسن والجمال المرة دي الحساب عندي انا..

ويلا عشان إنتي كدا أتاخرتي عليه أوي زمانه مستنيكي؛ مش ناقصين نكد وخناقات بينكم ذي كل مرة.

ابتسمت خجلا ودنت منه وطبعت قبلتها على جبينه؛ وتوجهت مسرعة نحو الجوار حين وطأة قدماها عتبة المكان الذي ينتظرها فيه ..

تذكرت أول مرة حين قابلته، لم يصدق حينها إنها قبلت وتغلبت على مخاوفها وقابلته وجها لوجه، كم كانت لحظة رائعة حينها أخبرها إنها حققت له امنيته التي انتظرها طويلا ما أجمل لقاء المحبين حين تعشق بصدق !.

ابتسمت خجلا حين اصطدمت عيناها به رمت بصرها على الأرض، وهي تسير نحوه بخطوات متباطئة لقد انتظرت هذه اللحظة منذ زمن؛ لم يتغير مازال على عناده!. يدعي الصمت حتى يسمع حديثي ورجفات قلبي الذي ارهقه الاشتياق، كانت تتأمل سكونه وصمته الذي يضفي وقارا على ملامحه..

اقتربت منه وهي تستعطف ذراته في أن يصفح عنها لأنها تأخرت عنه خمس دقائق وسريعا ما حولت بصرها نحو هذه الرياح التي اعترت مرقده وجعلت أوراق الشجر تتساقط عليه من كل اتجاه !.

اكملت حديثها مثل كل مرة فهي اعتادت على صمته، بينما هي تكمل الحديث دون توقف ظلت دموعها تنساب على وجنتيها الزابلة، وهي تعاني مرارة فقده وتكتفي بتحسس مرقده الذي يحتضنه بين ضلوعه لم تكد تصدق إنها تودعه مثل كل مره !.

تودع طيفه الذي حرم بصرها عن رؤيته، عن لمسه عن سماع صوته الذي مازال يتسرب إلى مسمعها وكأنه يخبرها على أنه قيد الحياة، جلست بجواره لتخوض صراع الفقد والاشتياق كم كانت سيئة الحظ !.

ظلت تتحدث خفيه بصوت مكبوت " ظلت تلاحقني الأسئلة وانا استعيد اللحظات واقبض على ريح الشوق وانا أتأمل وجهه الساكن بين ملامحي، أوقد الحنين ذاكرتي، تهت في دهاليز زمن صباي وانا أرى أحلامي مقيدة بأغلال الخيبة!. امتطيت صهوة الأمل، ابحث عنه عن نفسي، عن أيامي !.

كيف لي أن اهرب من ذاك الحزن !. وفي ركن الذكريات وجع يومض بوهن!.

مازالت قدماي تطأ عتبات اللهفة بأمنيات لا تنتهي، لقد أصبحت أنفاسي واهنة، وانا محتجزة في صراع " ما بين قلب ينبض وعقل سليم" لم تبقى لي سوى رجفات قلبي، مازال ينتابني الأسى على حلمي الذي بات مستحيلا؛ تشاطرني الآهات احزاني حد

الثمالة، مازالت روحي ترقد على شرفات أمل أضحى ماضي !.منذ أن عاد محبوبي مجدي في صندوق أنيق يحمل رائحة الموت !.

ظلت تضع الورود التي يعشقها كثيرا واحدة تلو الأخرى، وهي تزين بها مرقده مثل كل مرة وتعود إلى منزلها حاملة أثقال العالم على قلبها الذي مازال يغفو على أمل رؤيته والتحدث إليه .

ظلت تنفض الأتربة التي تعتلي مرقده إثر الرياح التي هبت فجأة، ظلت تتأمل مرقده الذي كان أكثر حظا منها لأنه احتضنه بين ضلوعه، كانت دموعها الحارة تغرق فستانها الذي كانت حريصة على أن يراها جميلة ومميزة، ظلت تعتصر الدمع في وعاء الخيبة، وهي تصارع ذلك الحزن الذي أضعف اوصالها وجعلها فاترة، قامت من جواره وهي تتأمله للمرة الأخيرة قبل رحيلها؛ متلحفة بوحدتها، بذاك العشق الذي يسكن ضلوعها، وبحفنة الذكريات التي تركها لها.. لتكون ارثها الأبدي منه !.

من منا لم يكن له ماضي حافل بالكثير من الأمنيات تغمره فرحة، وربما حنين، او فراق، وقد يكون اشتياق ..

نحن خلقنا لننعم بحياة مليئة بالصراعات بضجيج يشبه غيوم سوداء تعتلي السماء ليأخذ كلا منا حصته. لم يعد بمقدورنا تحمل المزيد، أحيانا نهرول نحو عالمنا الخاص ونغلق كل منافذ الضوء لنحي ولو قليلا بين صمت مطبق بعيد عن ضجيج الحياة، لولا طاقتنا ما استطعنا انتظار الشمس للمغيب لهرولت نفوسنا نحو رحيل أبدي، وربما تحشدت

زنزانات العالم بضعيفي النفوس خلف قضبان حديدي صدئ يحجب عنا الفوضى التي اذابت جسد آدمي أصابه الوهن .

هل باستطاعتك التخلي عن ذاتك ؟!

هل ستظل تعاني نكبات الماضي بيدين عاجزتان ؟!

لن تحظي بأكثر من أمل يكاد يكون طفيف لن تهدأ تلك الأرواح الساكنة بين رفوف الماضي إلا إذا فرغ عقلها من طيف العابثون، رحلنا إلى حيث الأمنيات. بل كنا أكثر ظنا بالحياة كنا نجوب دروب الحكمة وربما النسيان، لن تفوق الذاكرة من سباتها العميق إلا إذا صمدت وهرولت نحو عاصفة النسيان..

نعم جميعنا إنسان ولكن لن يهدئ ألم الروح إلا إذا استفاقت من ذلك الماضي وقامرت التحدي وفازت بكأس النسيان !.

هل ستقاتل إن التهمك صندوق الدمى الهالك لتنقذ جسدك من بين أيديهم التي تفتقد للحياة ؟!

لم اكن سوى روح بلا جسد ظل جسدي، وكأنه محنط جفت الدماء منه حتى أصبح ساكن، لم اكن أكثر حظا من تلك الدمى التي تصنعها أيد بشرية، وعقل آدمي يخطئ، ويصيب، كنت أشعر بهم اسمع حديثهم ولمس أمي لجسدي المطروح على فراش لسنوات، وكأني ذهبت برحلة أبدية دون رجعة كنت أعلم حقيقة سيهام زوجة أبي، فهي تلك المرأة التي ظلت تمثل دور المناضلة صاحبة الرسالة التي باستطاعتها أن تطبق

العدالة على ميزان اعمي بل وعقيم !. كانت الأضواء من حولي تشع نورها في كل اتجاه إلا عيناي ظل محجوب عنها النور لسنوات كنت اجهل سر ذلك ولكن ما علمته مؤخرا أني كنت سجينة عالم الظلام لقد حجبوا بصيرتي، وكأنها في حالة سبات مثل عقلي تماما ارى واسمع، ولا أستطيع التفكير جمود ذهني، او حبس مؤقت لذاكرتي تخضع لقانون الماضي وتسير بمستقبل مجهول عقل عقيم لا يبتكر، كانت أسلحتهم هي اللعب أوتار الدماء أو الشريان الذي بداخل أجسادنا باستطاعتهم التسلل داخل الأوردة البشرية وتحطيمهم، لم تكن قوتهم تكفي لهدمي كليا، كنت أشعر إني أملك قوة خارقة، بل قلب لا يموت، كنت أحس بوجوده معي رغم قلة حيلتي، ربما أصاب جسدي الوهن، ولكن مازال قلبي ينبض !.

كنت اسمع حسيس النار المشتعلة من اصابعهم وهما يتسامرون، لم يشبهونا قط لم يملكوا عزيمة؛ حتى تلك الجميلة سيهام يبدو إنها تعاني من فقدان مؤقت للذاكرة!. تراها تتخبط بالأرض؛ واضعة كلتا يديها على رأسها وكأنها تعاني صراع مرير يفقدها توازنها، كانت عيناي تراقبها وهي تتدحرج على الأرض ذهابا وايابا وكأن هناك قوة خارقة تكبل جسدها وتزيقها بأس أفعالها السيئة .

دنا مني طيف أسود يشبه خيال الآدمي وهمس باذني بكلمات غريبة قائلا: اخبري ميهرة إنها لازالت على قيد الحياة ارتجفت أعصابي حين تسرب صوته المبحوح إلى مسمعي، وكأني محاطة بطاقة سلبية حبستني بعمق أنفاسها، كنت لم أملك سوى حفنة مشاعر

يابسة لعالم كنت اظنه الحياة وفجأة دفنت أحلامي مع جسدي النحيل في صندوق خشبي يشبه صناديق الموتى!. رغم وجود روحي بين ضلوعي إلا إني انتظرت ذلك اليوم الذي سيدرج إسمي ضمن قائمة الوفيات..

ربما كابوس بشع وسأعود إلى عالمي حين ينتهي، حين استفيق لن يدوم طويلا ربما أضغاث أحلام إثر تأثري بأفلام الرعب والفانتازيا وهاري بوتر، والبيت المسكون والسحر الأسود.

كم كنت اعشق مشاهدة التلفاز لمتابعة افلامي المفضلة ولكن رغم عشقي لهم إلا إني لم أصدق تلك القصص فليس هناك وجود للأرواح الشريرة التي تغذو عالمنا !.

كيف ابصرهم !.

وكيف قطنت معهم !.

هناك مغزى وراء حبسي بين قضبانهم الحديدي .

وما ذنب أبي الذي كثيرا ما تخبطت أمي كالشاه المذبوحة وهي تلقي اللوم عليه !.

ماذا فعل ليأخذ ريمهان ثأره مني !.

ظلت فصول الطفولة، تنعش ذاكرتي، أسرني صوت أمي الدافئ الذي اتحسسه في برودتي مازال خيط فجري الأول لم ينفذ، أصابني الدوار عندما علمت إنه الحضن الأخير، فقط لم يبق سوى رهات أنفاسي التي عانت بين شهيق وزفير !.

ظلت تطوف أمام مخيلتها قصص وخواطر، وروحها العطشى بدأت تنتشي نبضات قلبها المنسية فاضت عاطفتها الجياشة باغتتها الذكرى وهي تلوك مرارة البعد، لفظتها امواج الواقع المريرة لصقيع الوحدة وهي ترقد في عتمتها مع نور خافت يؤنسها تبث لها العواصف همساته حين بعثرت الخيم، جرفت السيول معها الآمال وهي تستقبل حزمة من الجروح .

دنت من وسادتها واضعة يدها اليمنى أسفل رأسها مكتفية بابتسامة جافة تروي بؤس روحها وهي تبتكر زواياها في غرف الصمت تتحدى الألم والخذلان.. لم تستطع نسيان أمير الذي منذ أن رأته تذكرت ماضيها الذي كان بطله المغوار ظل قلبها تئن أوردته ليصارع رميم ذكرياتهما تتدفأ بجذوة حنين وهي تسطر النبض على صفحات بيضاء !. ما اغربني أيقنت أن نهاية المطاف هي رحلة عابرة وانا فقط عابر سبيل بين بقاع أرض ستدوم هي دوننا !. كل الأماني سترحل معنا عبر دروب الأخرة التي هي المستقر، لن يكون منفاي دروب مجهولة .

هل باستطاعتي ان تطأ قدماي قصور وهمية ولو من سراب ؟!

استلقى على فراشه وهو ينتظر شرق الشمس كان قلبه يرقص طربا من السعادة وهو يغفو على أمل رؤيتها ثانية والتحدث إليها لبعض الوقت، كلما هم بإغلاق عينيه تسرب الى قلبه المنفطر والمتيم بها عشقا ليفوق من غفوته على صوت أنفاسها التي دنت منه ونهرته بصوت هامس قائلة:

انا مستنياك على المعاد بكرة الصبح ومش هقبل اي اعذار.

تبسم خجلا واعتدل على جنبه الأيسر، واضعا كلتا يديه على وجنته لينعم برؤيتها على قرب منه أحيانا، أحيانا تترجم أحلامنا على إنها أضغاث واقع تهرول له الذات لعلها تنعم بقدر من السعادة نضع أحلاما شتى وتصورات عديدة وننتظر الشفق الأحمر ونحن نتأمل جماله الذي يضفي على قلبا عاشق نغم الحنين والاشتياق، أحيانا تكون أحلامنا بسيطة ممزوجة بقدر من العقلانية وربما الجنون تغفو على لقاء محتمل، وربما زهرة جوري مع ابتسامة خفيفة ونظرة عشق في لقاء ممزوج بنكهة اعتراف لما يجول بأرواحنا من حب وعشق تسرب الى الوريد، لم تكن على قدر من الجرأة ولن نستطيع كبت عشق ابا أن يستكين !.

ظل يشاهدها تدنوا منه أمام ناظريه وهي تلوح بيدها له مع ابتسامة خفيفة وهو ملقى على فراشه إلى أثقل النعاس عينيه بدون أن يأبه لشيء حوله سوى صوت طنين الناس الذي يتسرب إلى مسمعه إثر التلفاز الذي يشاهده والداه وهما يتسامرون ويلقون بصرهم على فيلم " الخطايا " بطولة عبد الحليم حافظ..

ظلت تدقق النظر في ساعة يدها وتبدو على ملامحها علامات الضيق، انتفضت من مقعدها والقت المجلة الخاصة بالأزياء والموضة جانبا، وهرولت نحو البلكونة وهي ترتدي روبها تركوزاي اللون المصنوع من الحرير، وشبشب على هيئة دبدوب ذات لون أسود ظلت تستنشق هواء رطب من الشرفة، وهي تتأمل الشارع من أعلى، لم تستطع

تحريك أهدابها عن شاشة هاتفها تنهدت قليلا، ورمت خصلة شعرها صفراء اللون المتدلية على وجنتيها وظلت تنظر إلى ساعة يدها بين الفنية والأخرى .كانت بأبهى صورها لقد انتظرت ذلك اليوم على احر من الجمر دلفت إلى غرفة نومها فتحت الباب وخرجت وتوجهت نحو المطبخ قاصدة الثلاجة فتحت باب الثلاجة ودنت منها وطفقت تنظر داخلها، أغلقت الثلاجة وتوجهت ناحية المنضدة وامسكت يدها زجاجة الويسكي عامية الماركة، وتوجهت إلى المطبخ، ودنت من رف الأكواب وقامت بجلب كاسين من الويسكي توجهت إلى صنوبر الماء وقامت بشطفهما وعادت حاملة الأثنين في كلتا يديها وتوجهت نحو غرفة نومها، حين دلفت داخل غرفتها وقع بصرها نحو جوالها الخلوي إثر نغمة جوالها الصاخبة...

هرولت نحوه بخطوات سريعة مع ابتسامة عريضة تعتلي ثغرها وسريعا ما ضغطت على زر الرد قائلة: انا مستنياك من بدري وجهزت كل حاجة ما تتاخرش يا حبيبي، أغلقت الجوال بنفس راضية توجهت إلى المرآة، ربضت لبرهة أمامها وهي تعيد ترتيب خصلات شعرها وتضع أحمر الشفاه والقليل من البرفان، لم تستطع أن تصدق أنه اقتنع بلعبتها التي هي الشيء الوحيد القادر على جلبه إليها، استدارت وتوجهت ناحية الخزانة الخشبية وفتحت الدرج السفلي وظلت تتأمل صوره التذكارية معها وهي تلوك الذكريات التي لم تنل منها سوى البعد والفراق !.

استلقت على سريرها وهي ترمي بصرها لسقف غرفتها على إضاءة خافتة وقلبها يرقص طربا من السعادة علي عقلها في زوجها الذي بعمر أبيها لقد كانت حياتها تعيسة جعلها تعاني مرارة الوحدة فهي في نظره فقط مجرد فتاة للمتعة ليس اكثر، لقد قضى على حياتها

وجعلها بلا كيان او قيمة، لن تحظى بحياة مفعمة بالسعادة سوى بجوار حبيبها السابق وجب عليها أن تنفذ ما سعت لأجله قليلا من التضحية مزيدا من السعادة لن تترك الزمن يدرجها بقائمة التعساء

وجب عليها أن تنفذ خطتها التي بواسطتها ستحصل عليه ولن تدعه لأخرى..

كم عشقت تفاصيله فهي أيقنت أن الحياة بلا حب تكون عقيمة تفتقد للرفاهية والسعادة وربما الاحتواء.

من منا لا يحتاج لأيد دافئة وسند يرافقها طوال رحلة الحياة ستحظى بفرصة أخرى لن تكن كمن هرول نحو ماضيه حتى عجزت أعضاءه عن التجديف لن أكون كتلك الضعيفة التي حرمتها الحياة لذة السعادة والغرق بين محيط عميق!. ارتسمت على ثغرها ابتسامة باهتة حين دق جرس شقتها

انتفضت من سريرها وذهبت نحو الباب بخطوات متباطئة، ربضت أمام المرآة لبرهة الموضوعة بجانب الباب اغلى الحائط وهي تلقي نظرة عابرة على وجهها التي تملؤه مساحيق الزينة وابتسمت خجلا وتوجهت ناحية الباب، وقامت بفتحه اصطدمت عيناها

به وهو يقف خلف الباب دنت منه وارتمت بحضنه وهو تبدو على ملامحه علامات القلق، ازاحها جانبا بعد أن دلف إلى الداخل وظل يرمي بصره هنا وهناك داخل الشقة، جلس على الأريكة وهو يرتدي فانيلة بيضاء وبنطال جينز أسود ويعلوه جاكت جلد أسود ووضع إحدى قدميه على الأخرى ونظر إليها مستفهما: احكيلي حصل إيه بالتفصيل يا خلود ؟!

ظلت تسرقها الذكريات وهي تقاوم خشية السقوط، خشية الرحيل إلى عالم مكسو بالتيه والظلام، لملمت اشلاءها وصدرها ينشد احزانها، وهي تحدق في أطرافها المرتعشة مكتفية بابتسامة جافة تروي بؤس روحها، كم ارتها الحياة محطات الانتظار المعبرة على دروب العمر وفي قلبها غصة وحرقة تصعد لتذرف دمعا حارقا؛ دنت من إسلام وهو غارق في نوم عميق، طبعت قبلتها على جبينه فهو الوحيد الذي يربطهما سويا وقطعة منه حين تواعدوا خلسة !. دق جرس جوالها الخلوي رمت بصرها نحو الشاشة أصفر وجهها، حاولت تجفيف دموعها التي انسابت على خديها تنهدت وهي ممسكة بجوالها بعد أن ألقت المنديل الورقي المبلل جانبا، وأجابت بصوت مختنق:

الووووووو ..

_ طمنيني على إسلام يا خلود ؟!

_ إسلام بخير يا دالي بيه.

_ انا تركت لك مبلغ في البنك يكفي لإسلام وكمان عشان اتعاب المحامي .

_ كتر خيرك انا عاوزة أعرف هي مدام زيزي تعرف إنك بتكلمني ولا انت مخبي عليها علاقتك بيا انا كمان ؟!

_ مش وقت الكلام ده يا خلود اهم حاجة إن محدش يعرف إن إسلام ابني وإلا هتكون حياتك الثمن

انتي فاهمة ؟!

_ اكيد طبعا يا دالي بيه هننتظر حكم المحكمة افضل بشأن دعوة الطلاق..

_ اتمنالك التوفيق والسداد وأكيد لنا لقاء قريبا .

_ وليه لا بس ساعتها هكون أول خصم يتعدى خطوطك الحمراء ويعارض قوانينك يا دالي بيه.

_ تقهقه ضحكا وأجابها بلغة حادة قائلا: وآخر خصم يا خلود.

_ألقت الهاتف جانبا بعد أن بثقت في وجهه وهي تشتاط غضبا، احتضنت وسادتها ودموعها الحارة تسيل على خديها، لم تستطع إكمال صراع أجهز على صحتها، وجعلها تغوص بين كفيه اللذان تنعدم فيهما الرحمة، كم كان رجل مستبد يستعبد أرواح النساء ويملك زمام أمورهم كسبأية حرب ثأرية !.

توعدت له وهي تشتاط غضبا وتناضل حتى الموت لن تسمح له بأن يدهسها بأقدامه النتنة التي اعتادت على الاستعباد..

رغم بصيرتنا التي لا تخطئ، نحيد عن عالم ساخر ونتبع صوت قلوبنا التي أحيانا تكون أبصر منا في إدراك ما قد يعيق خطوينا، دائما كانت تخبرني أمي أن في التأني السلامة وفي العجلة الندامة، كان مثال ينتابه الصواب فهم أرشد منا وأعلم، كنت اظن ان الحياة دائما سعادة لا يوجد للحزن مكان ولا زمان، ولكن كان عقلي أقل نضجا وأقل معرفة، ولم يخضع لاختبارات الحياة المرهقة كنت قليلة الحيلة، أشبه بتلك المراهقة التي تحلم ببيت صغير ومحب لطيف يمدني بالحياة، بالحب بالإخلاص، يكون لي السند وأحيانا المنفي والقوة التي أن ضعفت يوما مدني بالقوة والإيجابية، لم احظى بحياة حلمت بها كثيرا.. حتى هو لم يكن بطل واقعي كما عهدته في أحلامي!.

سئمت روحي النضال بمفردي وانا الفظ أنفاس الخيبة على عتبة الأماني التي نخرتها الرياح وخلفت سحابة سوداء تعتلي سماء أمنياتي التائهة؛ تلك السحابة التي تمرق بالأفق، ظلت تندثر حتى تاهت أمنياتي في متاهات اللامعقول !.

انتفضت من بين يديه ونكزته بكوع يدها وعلامات الغضب تبدو على ملامحها، واجابته بلهجة حادة قائلة: انا تسنيم يا أمير!.

حاول تفادي الموقف بشيء من الدعابة وابتسامة ساخرة قائلا: انا عارف إنك تسنيم وقاصد أناديك باسم ريهام عشان اقدر اشوف ملامحك الجميلة وانتي بتغيري عليا انتي حبيبتي يا تسنيم وأقرب حد ليا.. دنا منها وطبع قبلته على رأسها واحتضنها واضعا رأسه

على رأسها؛ ابتسمت خجلا وسريعا ما اجابته بلغة هادئة منحرمش منك يا أمير.. انا بجد محظوظة بيك اوي .

اعتدلت في جلستها وتنهدت قليلا وهي ترمي بصرها بالأرض، كانت علامات الضيق والقلق تبدو

على ملامحها، نظر إليها أمير مستفهما عن سبب حزنها الذي بات واضحا على وجهها قائلا :

مالك يا تسنيم انتي كويسة ؟!

_ اجابته بنظرات منكسرة انا قلقانة اوي على ريهام من جوزها المجرم نبيل .

_ أقترب منها ووضع كلتا يديه على كاهلها، اهدي بس يا حبيبتي وأن شاء الله هنلاقي حل .

_ انت متعرفش يا أمير ده كان معزبها اذاي علامات الكرباج موجودة على جسمها !.

_ انا من البداية مكنتش موافق على الجوازة دي بس نعمل إيه في دماغ والدك الله يرحمه .

_ اللي راح راح يا أمير احنا في النها ردة والدي وافق عليه عشان كان صاحب والده ومكنش

بالهمجية دي ساعتها !.

ـ يا حبيبتي افهميني مايغوركيش الشكل، قصره بأة استحالة ترجع ريهام للحيوان ده تاني لأنه

مش هيحافظ عليها اصلا.

ـ عندك حق احنا لازم تخليها ترفع دعوة طلاق منه وبكدا نحل الموضوع بطريقة قانونية افضل..

ـ افضل وانسب حل فعلا ربنا يخليكم لبعض يا حبيبتي ولا يحرمني منك ..

ـ ولا منك يا أمير يارب .

استلقى على وسادته وهو تتوه بسمته في مدارات العشق البائس كتبتها روحه نسيان حتى لا يراها الآخرين بعين قلبه الذي ارهقه الشوق فهي في قلبه حديث لم يقرأه بعد.. !.

ظلت تأرجحه الرياح وهو يمشي بعصا يابسه على ضوء جواله في ليلة حالكة العتمة بعد أن احكم إغلاق المنزل تحول بصره حين رآه يجلس داخل خيمته ويقيم طقوسه الخاصة التي اعتاد على القيام بها ظل يقترب منه بخطوات لاهثة وكأنه انهمل من روافد الوادي تسرب الى مسمعه صوت خافت من بعيد يشبه صوت الساحرات انصت إليه بحذر وانتباه.. جلس بالقرب منه وهو يرمي بصره هنا وهناك ودنا منه نهره بصوت هامس ميهرة لسه عايشه والظاهر إنها راجعة تنتقم.. فتح عينيه المغلقتان وهو يجلس في خلوته أمام قبس النار الذي أمامه حاول أن يهدأ من روعه بكلمات مقتضبة قائلا: ميهرة ماتت من عشر سنين ورؤيتك ليها هي فقط وهم ليس لها أساس من الواقع وانت كنت شاهد على

موتها من قبل!. بلاش تخلي عقلك الباطن يفسد عليك حياتك يا محمد كل اللي بتحس بيه هو مجرد خيالات وأوهام .

_أمسك معصمه بقوة واجابه بصوت هامس قائلا : صدقني يا شيخ اقسم لك إن ميهرة عايشه انا شفتها بعنيا صدقني!.

ألقى الشيخ عبد السميع مسبحته جانبا، ووضع كلتا يديه على جبين محمد، وظل يردد بعض الآيات القرآنية وبعدها نظر في عينيه وأجابه قائلا: كن صادقا مع الله يا محمد انت أخطأت في جوازك من البداية ولازم تبات النها ردة في غرفة تاليا.

التهمت محمد الدهشة وأجاب مستفهما: تاليا حرارتها مرتفعة يا شيخ عبد السميع.

أغمض الشيخ عينيه لبرهه وظل يحرك شفتيه ببطء وأجابه قائلا: تاليا أسيرة ريمهان يا محمد عن طريق خادم سري في منزلك، قدر يحبس تاليا بين لعنة الظلام لذلك انت الوحيد اللي قادر تخلص تاليا من بين ايديهم لأنهم راجعين ينتقموا، فتش على عين ريمهان في منزلك، وسيطر عليه من خلال خاتم ميهرة اللي وهبته لك من قبل .

وضع محمد يديه على وجنتيه، وظل يتخط كالشاه المذبوحة؛ وهو ينوح قدره الذي ألقى بابنته في عالم الجحيم هرول مسرعا نحو المنزل، وهو لا يأبه لصراخ الكثيرين حوله بين جنبات الرصيف حين التهمته غيمات الحيرة، وحين وطأة قدماه عتبة المنزل..

كانت الساعة حينذاك التاسعة مساء اصطدمت عيناه بهما وهم جالسون أمام التلفاز لمتابعة حلقة مسلسل العطار والسبع بنات، نظر إليهم مطولا وسريعا ما رمى بصره على

غرفة تاليا، وتوجه نحوها فتح الباب، ودنا منها وظل يتحسس حرارتها واضعا إحدى يديه على جبينها الرقراق؛ تغيرت ملامحه حين أصطدمت عيناه بتغريد وهي جالسة بجوار تاليا بالجهة المقابلة له وهي تغفو بين أحضانها جف ريقه ورمى بصره للخارج متسائلا: كيف دلفت تغريد إلى هنا رغم إنه رآها تشاهد التلفاز مع سيهام بالصالون !.

تذكر حديث الشيخ عبد السميع، حين أخبره إنه هناك خادم لريمهان بالمنزل، هرول نحو الخارج بعد أن طبع قبلته على جبين تاليا.. وهي غارقة في نوم عميق، وتوجه نحو غرفة تغريد أغلق الباب خلفه وتوجه ناحية الخزانة الخاصة بمقتنياتها؛ قام بفتحها وظل يبحث في رفوفها، أخرجت يده صندوق المجوهرات الخاصة بها، وتوجه به نحو سريرها، وضعه بجانبه وظل يبحث داخله دلفت إليه تغريد أصفر وجهه رمت بصرها نحو الخزانة وسريعا ما نظرت إليه مستفهمة :

مالك يا محمد انت بدور على حاجة مهمة ولا إيه ؟!

اختلطت أفكاره جف ريقه اجابها بكلمات متقطعة قائلا: فاكره يا تغريد الخاتم اللي قدمته ليكي هدية في عيد جوازنا انا مش لاقيه هنا هو انتي بعتيه ولا إيه ؟!

ـ لا يا حبيبي انا قدمته هدية لمراتك الجديدة سيهام، لأنها تستحقه أكتر مني وبعدين هو كان موضة قديمة اوي، وسيهام بتحب الحاجات القديمة لأن اغلب صيغتها كدا، وكأنها من ملوك زمان! انما أنت إيه فكرك بيه فجأة ؟!

ـ انفجر غضبا وأجابها بلغة حادة قائلا: انتي اكيد اتجننتي انتي تعرفي ان الخاتم ده كان حماية لينا من ميهرة؛ لان حياة بنتك وشفاءها متعلق بوجود الخاتم ده يا تغريد، انا كنت عند الشيخ عبد السميع النها ردة وقالي أن بنتنا تاليا محبوسة في لعنة الظلام بواسطة ريمهان، اكيد عرفتي ريمهانيكون مين يا تغريد ؟!

ـ وضعت يدها على ثغرها وجلست على الأرض تبكي مولولة لم تستطع أن تصدق ان ما عاناه محمد منذ زمن ستعانيه تاليا مثل أبوها يبدو إن ريمهان عاد لينتقم.. لم تكن حياتهما مفعمة بالسعادة منذ رحيل ميهرة وها هما اليوم يعانون الماضي مرة ثانية، كلاهما يعلم حقيقة ميهرة من هي، وما حدث معها اما انا فلم اتذكر سوى اني بمعزل عن العالم بين أروقة الظلام، لا أدري اين كنت اقطن ولم تستطع عيناي رؤية الشمس ولو لمرة واحدة كم مخيف هذا العالم الأخر!.

يفتقد لضوء النجوم ولأشعة الشمس، ولصوت العربات، ولصوت الطيور ونغمها ولحياة ولخضرة الربيع وجماله فقط تراقب عمرك ينتهي وانت ساكن بين أعماق الظلام تبحث عن مفر ليصلك إلى النور إلى عالم الحرية والسلام إلى البعد عن بؤرة البؤس وبركة الظلام !.

هل بإمكاني أن احظى بعشر ثواني من الحرية ؟!

بعد ٥ اشهر

لم تتركني عيناها الصفراويتان دون أن تمارس لعبتها معي كل منتصف ليل لعلها تحظى بقليل من السعادة فهي لم تمارس طقوس الأميرة والجلاد منذ زمن، بعد أن تزورني وهي متأنقة بأبهى حليها العتيقة وكثافة اللباس التي تسترها، تدنوا مني وتظل تتحسس نبضي الذي بات يخفق شيئا فشيئا كنت ارمقها من بعيد وهي تتراقص على نغم صوتها الصاخب الذي كلما تسرب الى مسمعي ارهق طبلة أذني من حدة صوتها؛ ما زلت ارقد في عتمتي متوانيه الخطر الذي يطوف حولي بجسد آدمية ووجه هرة، كم كانت بشعة ومخيفة حين تتوعد إلى خلسة بنظرات مخيفة، وكأنها تريد أن تلتهم احشائي حين تسمع وقع أقدام ريمهان تختفي عبر حلقات الظلام خفية، كل ما كان يحدث معي

ليس صدفة وإنما كان خلفه الف سبب ومغزى خفي، فتشت بين ماضي الذي عشته لم أجد سوى أحلام عزباء كان حلمها الحصول على واقع افضل، ومكانة مرموقة وكثيرا من العلم، لتنير به عتمة حياتها التي أصبحت إحدى ضحاياها !.

لم تكن تعلم إنها ستغزو عالم آخر لا يشبه عالمها لا يوجد به سوى صوت الإنذارات" اسحقوا الآدميين" لم تكن نافذتي يتسرب إليها النور؛ فهو عدوهم الذي لا يستطيعون الهروب منه إلا بين الأرصفة المهجورة والمنازل التي تفتقد الآدميين، هم عكسنا تماما، هم جزء من عالمنا يتسللون إلينا كل منتصف ليل، وهم ينتشرون بين الزقاق وبين المنازل، كنت أراهم بكثرة كل مساء يطوفون حولي بأطفالهم البؤساء.

ما كان يثير فضولي كيف لي أن أحلل عقدة لساني التي ابت أن تجعل اصواتي نافذة إلى مسمع أمي يبدو إنهم بارعون في حجب صوتي وقد يكونوا مارسوا تعويذة ما جعلتني افتقد احبالي الصوتية !.

ولكن كيف ذلك وانا اسمع حديث أبي وأمي كلما جلسوا بجواري وطفقوا يمسحون على جبيني بأيديهم؛ وأيضا اسمع صوت أنفاسي الواهنة، بينما اصارع عالم بين ركن الظلام هناك شيء حاجب بيني وبين عالمي، ليس ثانية لقد سئمت رؤية تلك الهرة التي اعتادت على اللعب معي وضرب جسدي بأرجلها اليابسة؛ سئمت صراخها اللعين، يبدو أن ريمهان قام بعقابها لمخالفتها أمره حين سحقتني بكوع يدها، وجعلت قلبي يتكدس بحصى الأرصفة، حين تعثرت قدامي وهي تهرول خلفي لتعانق قامتي.. متى اتخلص من ذلك السجن الذي انهك جسدي، وجعلني اقامر الموت لسنوات !.

هل باستطاعتي أن أحلق بعيدا عن عالم لم تهواه نفسي ؟!

تسرب الى مسمعي صوت خافت قادم من بعيد انصت إليه بحذر وانتباه لم استطع رؤية ملامحه في العتمة ظلت عيني يأقل بصيصها فقط اسمع صوت نحيب أمي وهي تجهش بالبكاء بصوت خافت تخنقه غصات الألم !.

تساءلت حينها عن سبب بكاءها بهذا الوقت المتأخر من الليل، ولكن ما رأيته جعلني بحالة فزع، انتفضت كل حواسي الصامتة.. تحت اقتران الترقب؛ كانت اهدابي معلقة بتلك المرآة التي الموضوعة أعلى الحائط بالركن الأيسر، دققت النظر بتركيز، ارتجفت

أعصابي حين رأيت اثنين يرتدون قفازات جديدة تشبه النحاس ويجرون خلفهم رجل يبدو إنه مغشى عليه، كانت حالته مزرية وربما سيئة جدا، كنت اراقبهم خلسة وانا احبس أنفاسي خوفا من يروني اراقبهم، ظلت أعصابي ترتجف حتى دلف إلي ريمهان بجلبابه الأسود اللامع، يبدو إنه كطيف لا ارجل ولا أطراف ولا وجه و كأنه خلق من ظلام دامس!.

ما كان يجول بخاطري هو كيف استطاعوا العبور من عالمنا إلى عالمهم بواسطة المرآة هل هذا معقول !.

يبدو أني اعاني من شيزوفرنيا، كنت أشبه بدمية عقيمة لا تنجب ولا تبتكر كان عقلي يدور في صراع مغلق، جميع الطرق متشابهة حتى انا لم اكن سوى حلقة صغيرة، وربما إبرة صغيرة بكومة قش..

رغم طاقتهم اللامتناهية إلا إنهم يشعرون بالخوف، كلما تسرب إليهم صوت الآذان عبر مآذن المساجد يهرعون نحو منازلهم المهجورة وهما يضعون اصابعهم على آذانهم وكأنهم يخشون الهلاك، ولكن من ذلك الذي يجرونه عنوة وإلى أين هم أخذوه ؟!

ظلت يداه تمتد نحوي شيئا فشيئا وكأنه يحاول حبس أنفاسي بخيال طفيف، كنت اراقبه وانا اجلس في بقعة من ضوء صغيرة على تحيط بي.. كلما نفذت يداه داخل تلك البقعة المضيئة يحبها للخلف سريعا وكأنه يخشى النور، لقد اعتاد على ظلمة جوف الأرض !.

وأكل النفايات التي يخلفها الآدميين استطلت النظر إليه وانا أتأمل وجهه المجهول،

كيف له أن يراني وهو يرتدي ذلك القناع على ملامحه هل يملك قوة خارقة تمكنه من ذلك ؟

كان وقع اقدامها يزج المكان وهي مرتدية تاج ملكي أصفر وعيناها كنمر متمرد ينتظر الاقتصاص من فريسته ليذيقها ألم الهزيمة والوهن، ويثور بقوة ليريها مدى قوته وفتكه بها وذلك الاكليل الذي ترتديه على صدرها وجسدها الممشوق وشعرها المتدلي ويديها الناعمتان واسنانها ناصعة البياض وجمالها الخلاب مع طول قامتها يجعلها تنافس نجمات بوليود في جمالها، وربما لحن صوتها الذي ان تسرب الى مسمعك، ذهبت نحو عالم الفن السحري والسكينة، والعزف على أوتار القلب الفارغ الذي يفتقد الحنين والدفيء؛ لم أستطع تحريك اهدابي عنها ولو لبرهة، وانا اسبح في خيالاتي هل ما اراه حقيقة ؟!

من تكون هذه ؟!

ولما تهرول نحوي وكأنها تريد اختطافي بنظراتها الرقيقة وخطواتها المتأنية باستحياء ؟!

كنت اجهل ما يجول بخاطرها ولكن ما بعث الريبة داخلي هي نظرتها الصاخبة وابتسامتها الباهتة التي تشبه ابتسامة الساحرات في القصص الأسطورية، حين اقتربت مني بخطوات متباطئة أشارت بيدها إلى ريمهان الذي سريعا ما دلف نحوها بأربعة أرجل؛ وتحول إلى هر أسود ذات عينان مخيفتان، دنت من أذني ونهرتني بصوت هامس قائلة: انا انتظرتك منذ زمن يا تاليا.

_خليني افهمك انتي هنا في مملكة الجن وانا هي "الملكة مرجانا " اما ده ريمهان خادمي وسريانا هي وصيفتي .

_جف ريقي وانا أكاد أفقد النطق كيف لي أن اجلس بعالم الجن وأتحدث معهم مباشرة!. كانت أصابعي تتخدر وكأني فقدت أقدامي والقدرة على التحرك، كنت اجهل حقيقة ريمهان الذي أصبح من فصيلة سيهام زوجة أبي يا إلهي كيف لي أن أخبر أبي عن حقيقة سيهام وعن مكوثي بعالم الجن والظلام . لقد أيقنت اني قضي عليا، ولن اعود إلى عالم البشر مرة ثانية..

لن أبصر النور ولن أستطع محو الظلام عن عيناي التي انهكها بشاعة وجوههم القذرة ليس بإمكاني تحمل المزيد من العناء، أشارت بيدها؛ وكأنها تعير انتباهي لها مع ابتسامة ساخرة أجابت قائلة: لم يكن وجودك معنا بدون مغزى انتي فقط مسجونتي الخاصة، لن تبرحي مكانك إلا اذا حصلنا على روح والدك وسنغلق صفحات الماضي؛ حين نتمكن من حبسه لا بأس ستنعمين عبر عالمنا لتكون رحلتك مميزة ايتها الأنسية .

كنت أنظر إليها بعينان شاخصتان وانا أكاد لا أستوعب حديثها هذا !.

ماذا فعل أبي ليتم حبسي عبر لعنة الظلام !.

وما السر الذي كثيرا ما كانت أمي تلقي اللوم عليه ؟

كيف أخبره بحقيقة هؤلاء وانا مكبلة بين اصفادهم ؟!

ارتدت معطفها الأسود وحقيبة يدها وبنطال أسود وكوتشي جلد ذات لون كشمير، بعد أن أعدت له وجبة الفطار وسريعا ما جلست معهم وتناولت ساندويتش مربى المشمش، وارتشفت فنجان قهوتها وذهبت مودعة أختها ريهام وزوجها أمير الذي كانت عطلته في البنك كل سبت من كل أسبوع طبقا للائحة العمل المعمول بها، اما سيهام فهي مدرسة ابتدائية، ليس مشمولة ضمن قائمة الإجازات لأن يوم عطلتها فقط يوم الجمعة.. أشارت بيدها لهم وهي تغمرها السعادة، وأخيرا سترى طلاب الصف الذين هم يعنون لها الحياة، لم تعتاد على البعد عنهم للحظة..

جلست ريهام وامير يكملون وجبة الإفطار الخاصة بهم وهما خجولان للغاية بدأ أمير الحديث معها بسؤاله عن ما يتوجب عليها فعله؛ وضرورة أن تبحث عن أمل حتى تقضي على الفراغ الذي يملي عليها حياتها وان تبدأ تخطط لحياتها، لحين أن يفصل القاضي بشأن قضية الطلاق الخاصة بها. لم تستطع عيناها أن تبصر ملامحه وهي تحاول رمي بصرها نحو الشرفة المواجهة وكأنها لا تريده أن يقرأ العشق الذي ترجمه عيناها في هيئة شوق.. تفصلنا أميال عن حلم انتظرته الروح طويلا على أرصفة الأمنيات، وحين دنا منا وهو يغفو في سماء ملبدة بغيمات بيضاء، وكأنها تتجمع السحب لتمطر ماءها على الأراضي القاحلة التي جفت وتشققت، حتى ارهقها العطش بحثا عن الماء هناك يجتمع الأمل مع الخوف من المجهول، نظن أن الحياة هي العبث.. هي الدرب الذي لا نهاية له

هي حلم كلما انتظرناه طويلا حلق بعيدا بين وديان وبلدان تبعد عنا مئات الكيلو مترات هي رحلة ربما تطول.. وربما تنتهي اجالنا دون نصل لما تريده النفس من أمنيات.

لن ينكسر حلمك طالما آمنت به؛ كن بطلا يجوب دروب التحدي حتى وإن بترت قدماه !.

نبتغي الرشاد ونحن نحلق بأوصال اضعفتها نكبات الواقع رغم اننا في سفينة واحدة إلا أن الحياة تهب وتمنع كنت اظن ان الغوص بعمق محيط أشبه كثيرا بدنيا تجدف فيها بكل قوتك وانت من داخلك يضيئ لك نور اليقين والهداية، عندما تتعثر قدماك ربما تظن أن الخطأ هو إنك ليست محظوظ بما يكفي؛ ولكن هذا ليس خطأك، ربما يكون درسا وعظة لتلتمس منه قبسا ينير لك عتمة الطرقات التي تسير قدماك بدون أن تعلم خباياها؛ جميعنا يملك مفتاح السعادة رغم الحطام الذي بداخله..

لن يصل لمبتغاه إلا إذا تعاظمت الكدمات وتركت أثرها على ملامحه حتى جعلته يقود حياته بذات قوية واوصال ثابتة، وتبقى الذكريات هي التاريخ العتيق الذي بواسطته تخلد الذات !.

هل باستطاعتك أن تعلق روحك على عشقا بات كداء يتسرب إلى وريدك منذ سنوات ؟!

ماذا ستفعل حين يقابلك الدواء وانت تلفظ أنفاسك الأخيرة على عتبات البحث عنه ولو دفعت حياتك ثمنا لتناله ؟!

لم يكن باستطاعته كبت شوقه الذي بات واضحا على ملامحه ونبرة صوته التي جعلته يتوه في أهدابها الساحرة ظل يرمي بصره وهو يتحدث إليها بكلمات متقطعة: ربما نسى الحديث والمضمون ذلك الضعف الذي يتملك ارواحنا حين ندمن شيئا احببناه كثيرا، نفتقد حينها للعقل والتركيز وأحيانا نتوه عبر الخيال والمشاعر المرهفة. لقد سلكنا دروب الصبر والتمني ونحن نتجنب الارتطام بالواقع وتناسي الماضي ولو لبرهة ظلت تتهرب منه بنظرات واهنة وكأنها تحاول الصمود وهي تفتقد للقوة يبقى الحنين والاشتياق قائد أحلامنا التي هدمها الحرمان لن تهدأ الروح منذ أن ظلت تشاطر احزانها بين أروقة الانتظار!.

بعد أن فرغت من فطورها وحين احست بالشبع، هرولت نحو المطبخ؛ حين اختلطت أفكارها وارتبكت من نبرة صوته الشجية، دلف إليها وهو يحمل طبق الجبن والمربى، بعد أن انتهيا من تناول وجبة الإفطار واقترب منها، وقام بوضعهم بجانب صنوبر الماء ارتجفت أعصابها وهو يدقق النظر في ملامحها دنا منها بصوت هامس قائلا: انتي عارفه يا ريهام اني حبي ليكي أصبح عشق ومتتصوريش انا مجنون بيكي اد إيه !.

استدارت وتوجهت نحو الخارج مكتفية بابتسامة باهتة دنت من الطاولة وحاولت حمل باقي الأطباق، وتوجهت بهما نحو المطبخ وهو يقف بجوار الثلاجة، واضعا يده اليمنى على خصره.

قطعت الوسع من الصمت وأجابت بلغة حادة: انا كفاية عليا معاناتي مع جوزي نبيل انا خلاص اخدت نصيبي من الدنيا وراضية بيه .

ارتسم على ثغره ابتسامة خفيفة واقترب منها بصوت دافئ قائلا: يااااااه انتي اتغيرتي اوي يا ريهام المفروض اللي حصل معاكي يكون دافع قوي إنك تتجوزي الإنسان اللي بتحبيه وتبدأي حياتك من جديد، الحياة ما بتوقفش على حد والعمر بيعدي هوى!. ومن حقك إنك تتجوزي وتحبي وتنحبي كمان؛ ده حقك الشرعي، وسنة الحياة والشرع أوجب على الإنسان الزواج .

اومأت برأسها بابتسامة ساخرة وسريعا ما حولت بصرها نحو النافذة الموجودة داخل المطبخ على جهة اليمين أشارت بيدها اليمنى ناحية النافذة، وأجابت بلغة ساخرة: عارف يا أمير انا كنت عند جوزي نبيل كأني سجينة حتى النور دا كان مجرد حلم ليا اني اشوفه، انا استحملت تخلفه واستبداده كنت بقضي الليل وانا قاعدة في المطبخ في عز الشتاء لم تكن حياتي كما تمنتها روحي!.

ظل يصغي إليها بانتباه وعلامات الحزن تتوسط ملامحه البيضاء، أقترب منها ووضع يده على كاهلها وهو يستطيل النظر في أهدابها الباهتة وأردف قائلا: روقي يا ريهام انا خسرتك مرة ومش هسمح إني اخسرك مرة تانية انتي ماتعرفيش انتي بالنسبالي إيه؟

أدارت وجهها جانبا وهي تتأوه ألما، وتعاني خيبات الواقع الذي جعلها تخوض صراع المظلومة والجلاد .على نغم احزاني تزف اوردتي نبض من عدم، كنت أشبه بوباء أن

تمكن منك أفتك جسدك حتى ظلت روحك تعاني سكرات الرحيل عبر أروقة الفقد والحرمان؛ وربما الضعف..

ومن قال أن الأنثى ليس" باستطاعتها كبت الألم" كمحيط اعتلته سفينة الإنقاذ بتجارب أمواجه الهائجة فتضل السفينة طريق العودة ويرحل معهم طوفان الانقاذ عبر مد وجزر !.

وتنبت أرواحنا ذكرى خالدة تعيد تاريخ الفقيد والمفقود كاقتران اسمك بابيك كبطاقتك الشخصية التي هي رمز هويتك، لن تظل النار بأوجها حتى تجعل من اليابس رماد ومن الحلم حقيقة ومن الصبر عبادة ، أن لم تحسن اختيار طريقك الذي قررت أن تركد نحوه، لا تلوم الزمان على سوء اختيارك، ولا تجعل الفكر الواعي يوصد أبواب الحكمة والعادات أحيانا العادات التي ابتدعها القدماء تكون منبع الحكمة التي هي أساس القوانين كن كظلك تظلل من حولك بطيب لسان لم تكن كمن اختبئ خلف ماضي أجداده وهو يتذكر أعمالهم وانسابهم دون أن يكون له تاريخ يخلد حياته الفانية !.

ظل يتابع القراءة وهو منسجم كثيرا إلى أن دلفت إليه السكرتارية قائلة: صباح الخير يا هاني بيه .

_ اجابها وهو يقرأ كتابه المفضل وهو منسجم معه دون أن يرمي بصره نحوها قائلا: صباح النور يا فاتن .

أشارت بيدها للخارج مع ابتسامة خفيفة قائلة بلغة هادئة: في استاذ عاوز يقابل حضرتك يا هاني بيه هو منتظر في الريسبشن بره .

_ استدار بكرسيه المتحرك ونظر إليها وهو رافعا إحدى حاجبيه باقتضاب قائلا : ومين دا يا ترى؟

_ اصفر وجهها واجابته قائلة : مش عارفه هو رفض يقولي اسمه.

تنهد قليلا وأغلق الكتاب ووضعه جانبا على المكتب واعتدل في جلسته وهو يعيد ترتيب رابطة عنقه وأشار بيده قائلا: خليه يدخل يا فاتن. ظل ينظر بشاشة هاتفه بين الفنية والأخرى، وكأنه ينتظر اتصال شخص ما، رمى بصره نحو الباب وارتسم على ثغره ابتسامة عريضة، وانتفض من مقعده وهرول نحوه قائلا: حبيبي يا طارق وحشتني اوي بجد دي أجمل مفاجأة .

، احتضنه وظل والسعادة العارمة تغمر وجه كلايهما.. أجاب طارق قائلا: يااااااه يا هاني ما تغيرتش لسه ذي ما انت !.

انت بجد وحشتني اوي يا صاحبي .

وضع هاني يده اليمنى على كاهل طارق وجلسوا سويا على المكتب، وظل يتسامرون عن حياة كلا منهم، اتكأ طارق على كرسي الشزلونج واضعا كلتا يديه خلف رقبته وهو يتأمل سقف المكتب مع ابتسامة خفيفة تعتلي ثغره، تنفس الصعداء وبعدها أجاب مستفهما: إلا قولي يا هاني اخبار نسرين إيه انتوا لسه متجوزتوش ولا إيه ؟!

ـ انتفض هاني من مقعده وهو يرتدي بزلة سوداء ورابطة عنق ذات لون أحمر وحذاء جلد ملمع وزم شفتيه، واضعا كلتا يديه بجيب بنطاله، توجه ناحية الشرفة، وأجابه بأحبال صوتية مختنقة:

نسرين كانت مريضة بالكانسر يا طارق ولسوء حظي إني فقدتها.

اعتدل طارق من جلسته أصفر وجهه واجاب بلغة حادة ينتابها الخوف قائلا : نسرين ماتت ؟!

تنهد قليلا وأجاب قائلا: لا قررت إنها تنفصل عني عشان شايفه إنها عبئا عليا، لذلك قررت تتابع علاجها بألمانيا ولحد دلوقتي انقطعت عني أخبارها؛ حاولت كتير جدا اوصلها بس مقدرتش كانت كل السكك متقفلة في وشي حتى تليفونها قفلته، وكأنها متعمدة تعمل كدا، انا عشت سنتين في عذاب وقلق وخوف عليها بقيت عايش ميت !.

أقترب منه طارق ووضع كلتا يديه على كاهله وأجابه قائلا: أهدى يا صاحبي، انا مش عارف اقولك إيه يا هاني في الأول والأخر احنا بشر ولينا طاقة واللي عملته نسرين كان لصالحك اكيد هي عارفه إنك بتحبها ومش هتستحمل تشوفها تعاني قدامك، انا رجعت من يومين من دبي وكنت على أمل اسمع اخبار جميلة عنكم بس خليني أقولك إن القدر دايما بيكون ليه حكمة معينة حاول تبدأ حياتك يا صاحبي، وانسى اللي فات، عيش حياتك وإلا هينتهي بيك المطاف للشيزوفرانيا.

التفت إليه وهو يكفكف دموعه بمنديل ورقي وأجابه قائلا: طمني يا طارق عن نجلاء هي لسه بتعاني من نوبات الصرع ولا تحسنت شوية ؟

وضع يده في جيبه واستدار نحو الشزلونج وقف بجواره وأخرج علبة السجائر واخرج سيجارة ووضع العلبة جانبا على المنضدة واخرج القداحة من جيبه الأيسر، وقام بإشعال السيجارة واخذ نفس عميق وأخرج زفيره وأجاب قائلا: انا عرضتها على أكبر متخصصين في دبي يا هاني وللأسف حالتها صعبة، وفاة ياسين خلتها تعاني الصدمة لدرجة الإدمان عشان كدا يا صاحبي بقولك عيش حياتك، انا عارف أن الفقد والحرمان صعب؛ بس صحتك بالدنيا وفي الأول والأخر هي إرادة ربنا عز وجل واحنا كل اللي بأيدينا إننا نحمده على كل حال .

يكون الرضا والامتثال هو الطريقة الوحيدة التي نملكها ليس لأننا مجبرون ولكن لأن هي الدواء الوحيد الذي يكون ضمادة للأنين رغم طيب خواطرنا وطول الرحلة إلا أن الصبر هو مفتاح النجاة والعظة، أحيانا نشعر بالضعف الذي مهما حاولت أن تصرخ من أعماق قلبك لصعق حلقك ألما من حجم الخذلان!.

نحن من كان يطلق علينا كلمة إنسان، ليس حبا في التناسي ولكن الزمن يكون كفيلا بتطبيب جروحنا مهما إتسعت مع مرور الوقت، ورغم بزوغ شهرا وربما أعوام إلا أن للماضي، وطن وربما منفى رغم أناملنا التي سجلت تاريخ، وضع بصمته على جدران منازلنا فهو الإرث الذي استطعنا تدوينه رغم جفاف الاحبار !. نشعر بقيمة الحياة حين

تصمد أمام ندبات الواقع التي نالت من قوتنا رغما عنا كنا نظن أن الألم لن يدوم طويلا لم تكن الضمادة دواء فتاك يقضي على آثار الندبات، ولكن أصبح مجرد مخدر مؤقت يعطينا الإحساس بالتحسن رغم استقطاب الجروح إلا أن بصمتها تعتري ملامحنا مهما حيينا!.

هكذا أرواحنا مهما كبرت ملامحنا وتشكلت مواكبة لأعمارنا؛ إلا أن لكلا منا عثراته التي هي اول تاريخ التحدي، وبداية حرب تتاريه تخوضها الذات نحو واقعها الذي نشأت بأحضانه.

لا تخبروني عن عالم وهبني الحرية ثم نال مني، وقضى على أحلامي؛ بعد أن جعلني ناضج الفكر والكيان بجعبتي تاريخي وداخلي إنسان !. لم استطع فتح عيناي أمام شمسا قادتني نحو دروب العلم والإيمان..

نعم حييت وأصبحت أقوى رغم تعدد الندبات؛ أيقنت أن الحياة دروس والقوة نبض لا يقاس بعمر مديد، أن الأيد التي تصفق ليست مثل الأيد التي تشقى وتحقق المزيد !.

كان تاريخي هو معركتي مع ريمهان، كنت احلم بحياة تشبه حياة الفتيات الذين بنفس عمري حلمت بتكوين اسرتي الخاصة وبيتي المميز، رغم جمال ملامحي إلا إني لم احظى بفرصة واحدة تجعل من يراني يتقدم لخطبتي، اصبحت اجوب دروب المدينة، وكأني فتاة بلهاء أتأمل الشوارع وعقلي في واد آخر كنت أشعر بوجودهم، أينما اذهب وكأني أصبحت واحدة منهم انتمي، لعالمهم كان الجميع يروا اني مميزة كأن ذلك

مكتوب على ملامحي كنت اخشى المجازفة رغم ارتباطي بصديقي باسم إلا إنه لم يستطع إكمال حياته معي، تتفاقم المشاكل بيننا بدون اي أسباب، كنت افتقد لعالمي الخاص لتلك الأحلام يغوص عقلي بين الأفق يحلق نحو النجوم ارسم بمخيلتي حياة هادئة وافوق من شرودي نحو صراعات الواقع ومحاربة ريمهان استطعت أن أحرز نصرا رغم إيماني الذي الهمني البصيرة والمقاومة، إلا إني لم انتصر بتكوين عالم يليق بي، يليق بعمري الذي لم يتجاوز الثلاثة والعشرون عام، أصبحت بنضج عقل عجوز كهل رغم ريعان شبابي، حملت على عاتقي رسالة من نوع آخر ربما ابدو لكم كمجنون فقد عقله و لكن ما اقصه لكم كان تاريخ يسجل على تراب الواقع، ما زلت على عنادي.. لن أتخلى عن حلم انتظرته طويلا وسطرته بدموع اهدابي الزابلة؛ كونوا بالقرب مازالت لقصتي بداية لم تبدأ بعد .

بعد ٣ ساعات صففت شعرها بواسطة بالسيشوار، وربضت أمام المرآة وهي تمشط شعرها، دلف إليها وهو تبدو

على ملامحه القلق والتوتر، ظل يزرع الغرفة ذهابا وايابا وهو شارد الذهن، كانت ترمي بصرها نحوه وهي تواصل تمشيط جدائل شعرها المجعد حتى قطعت الوسع من الصمت مستفهمة عن سبب توتره الذي بات يفضح ملامحه، جلس على حافة السرير وهو منغمس مع ذاته مشغول الفكر مضطرب الأعصاب، وكأنه يبحث عن رشده؛ اقتربت منه

بعد أن وضعت دبوس كبير يشبه المشبك لتثبيت شعرها وهي ترتدي روبها أحمر اللون وشبشب بلاستيكي أمسكت معصمه ،واجابته مستفهمة: مالك يا محمد؟

تنهد قليلا وهو يكاد ينفجر غضبا، وضع يده على جبينه أغلق عينيه لبرهة، وكأنه يستجمع قواه قطع صمته الطويل وأجابها بلغة حادة: احنا عندنا خادم من العالم السفلي يا سيهام وانا قلقان على تاليا اوي ومش عارف اعمل إيه، مش لاقي اي حل، ولا طريقة اقدر اخلص بيها تاليا !.

انفجرت سيهام ضحكا حتى هز صوتها أركان البيت وكأنها متعمدة تسخر من حديث محمد الذي

بات كمجنون فقد صوابه؛ اجابته بلهجة ساخرة: انت مستوعب الكلام اللي بتقوله يا محمد ؟!

الظاهر إنك رجعت للإدمان تاني مين قالك التخريف دا ؟!

نظر إليها بنظرات الغضب والزجر حتى أحمر وجهه الأسمر قائلا: انتي مش مصدقة كلامي ياسيهام صح ؟!

خليني افهمك حاجة كل الكلام دا من الشيخ عبد السميع اللي قدر يخلصني من أكبر لعنة في حياتي ولولاه مكنتش عايش على وش الدنيا، كانت سيهام صاغية بكل جوارحها وهي تشتاط غضبا من الداخل تابع محمد حديثه وهو يستروح عن نفسه، ذلك الحمل الذي يحمله على عاتقه قاطعته سيهام قائلة: الجاسوس دا ممكن يكون شخص واحد

بس وممكن تتأكد بنفسك منه في منتصف الليل الساعة الثانية والنصف مساء وانت هتعرفه مين هو يا محمد .

التهمته الدهشة حين وقع على مسمعه كلام سيهام الذي ترك الشك والريبة في كل الجيران والأقارب، أومأ برأسه وزن شفتيه وظلوا ينصبون الشباك لكشف جاسوس ريمهان الذي يتجول بالمنزل كل منتصف ليل، خرجت سيهام وتوجهت نحو المطبخ لتعد لزوجها محمد فنجان قهوة يساعده على السهر طوال الليل. بات عقله كالرحى وهو يفكر مليا في ذلك الجاسوس الذي أرسله ريمهان هل هو بهيئة بشر يشبهوننا، ام إنه حيوان، او ربما يكون مارد غير مرئي، فهما بارعون في التخفي كان يرمي بصره بكل ركنا في المنزل، وكأنه يراقب ذلك الطيف الخفي الذي يحوم حول منزله .

كان القمر في تلك الليلة مكتمل البزوغ في ليلة الرابعة عشرة، وقف محمد في الشرفة وهو يلقي بنظره نحو السماء، ويتأمل القمر والنجوم وشارد عبر عالمه الخاص، ظل يدنو منها شيئا فشيئا وهو يشير بيده نحو السماء وكالعادة يلقي قصائده الرومانسية في وصف جمالها الخلاب الذي جعله متيم بها وعاشقا لكل تفاصيلها..

استطال النظر وهو يشم نسمات الليل الهادئة وكأنه يغزو كوكب العشاق الذي يلتقون سويا، كانت عيناه تراها أينما يذهب، كم عشقها، وكم كان متيما بها حد الثمالة ظلت عيناه تراقبها وهي تهرول نحوه، وكأنها لم تراه منذ قرون بين عتمة الليل ونور القمر وهدوء الليل حكايات لا تنسى، كان صوت أنفاسها يتسرب إلى مسمعه كلما ناداها

هرولت نحوه لتضع رأسها على صدره وهي تشتهي المكوث معه للأبد لم يهدأ ذلك الضجيج الذي جعل روحه تتوه بعالم المنفى ذلك العالم الذي رحلت إليه وتركته يعاني مرارة الفقد والحرمان، سحقا لهذا العشق الذي يجعلنا اموات ونحن إحياء !. كم مؤلم ذلك الاشتياق.

لم يكن العالم له حدود تعيق قدرة الإنسان، وعمق ذكاءه.. تحول الدروب ونحن نتيقن العزيمة القوية التي نملكها نحسن المسير، ورغم طول رحلتنا التي لا نعلم نهايتها تتعثر أقدامنا بسبب صراع الماضي ومآسيه كلا منا يحمل حقيبة سفره لا تدري متى يكون الرحيل حتى الحياة هي مجرد مغزى.

اعمل صالحا ستجنى ثمار جهدك الحسن، وربما تخلد في بؤرة هلاك أبدية حين تقدم لحياتك رفات أعمال قد لا تكون كنزا حسنا في آخرتك؛ لم تعد خطوينا دائما صائبة، جميعنا يخطئ ويصيب من منا نجا من إعصار اغرق المدينة برياحه العاتية وجعلها قاعا صفصفا تستوي بالقاع، كنت اعشق التحدي، ولم يخطر ببالي يوما أن اخوض صراعا مع ملوك الجن، وربما الجنود .

استفاض محمد من شروده في الشرفة على صوت سيهام وهي تقدم له فنجان القهوة ليحتسيه معها تحت ضوء القمر في شرفه غرفتهما، ظلت تخفف عنه حدة التفكير مع ابتسامة باهتة على ثغرها وهي تخطط له لتلقي به في فوهه الجحيم ببزوغ شمس غد!.

ظل أسلام يلهو مع طائرته الورقية وهو ينظر إلى امه ويبتسم لها بين الفنية والأخرى، كانت عيناها تراقب تفاصيله ومدى شغفه باللهو مع طائرته الورقية التي عشق التسالي معها لم تعطها الحياة سوى حفنة سعادة قد لا تكون كافية، ولكن لم تكن تعلم قيمة حبها له سوى بعد زواجها، تلك اللحظات التي قضوها سويا، لم تفارق عقلها الذي أصبح مجنونا به رغم عمق المشاكل والصراعات التي تحيط بها .

ما أغرب تكوين البشر نبتسم، رغم الألم رغم الضيق، رغم هزيمتنا، لا أدرى هل هذه قناعة ام سخرية من حياة قد لا تكون كما تمنتها أرواحنا، رغم ضيق أنفاسنا وقلة حيلتنا نخضع لقانون الذات واللذات، منا من يهرول نحو تحقيق ذاته ابتكارا جديدا يغير مسار حياته، يقضي على الفشل على روتين اجهد روح عشقت التحدي، خاضت الصراع؛ وكثيرا ما حصدت هزيمة ساحقة، ابت الحياد عن هدفها، سارعت حتى النهاية، وأخيرا حصدت ثمار جهدها عن كفاءة، اما اللذات فهي زينة وحياة، وربما واجب وحق لنا، وعلينا تعشق أرواحنا أشياء كثيرة تكون مصدر سعادة وريادة وحلم وصفاء واكتفاء كحب لمحب جعلنا نحارب رغم بعد المسافة، وربما افتقارنا لثروة تكسر حاجز الوصول إليه، يظل العقل سيد افعالنا يقرر الصواب يطبق الشرع والشريعة والقانون.. اما القلب فهو مصدر الحياة، ولكن يفتقد للتمييز تكون أحكامه تحتمل الخطأ أحيانا رغم صدق الأحاسيس نظل نحكم العقل الذي هو اقدر على موازنة الأمور.

كيف لنا أن ننسى من كانوا لنا الحياة ؟!

هل بإمكانكم مساعدتي ؟!

ذلك الألم الذي جعل قلبي يهرول نحو المحظور، كنت اظن اني على صواب؛ كنت أشبه بغريق يقامر الموت وهو يبحث عن سبيل للنجاة حاولت مرارا انا اتعلق بحد صخرة ولو من عدم ولكن لا سبيل للنجاة، كنت اجدف بكليتا يديا لعلي اصعد إلى قارب الأحياء، لم اكن قوية بما يكفي لقد احتضنتني مغريات الحياة ما جزاء روح مذنبة، وضعت حياتها بين رفوف الرزيلة هل لها دفاع ؟!

لم تستطع نسيان ما فعلته منذ سنوات، كانت تتحمل ألم الماضي ونكبات الحاضر.

انتفضت من مقعدها في الشرفة وتوجهت إلى الداخل وهي تحمل حزن العالم في أعماقها فتحت الباب ببطء وأجابت قائلة: أهلا وسهلا يا هاني بيه انا كنت منتظراك من بدري .

ابتسم خجلا وأجاب قائلا: مساء الخير يا أستاذة خلود انا مقدرش اتأخر على دعوة حضرتك .

اومأت برأسها وابتسمت خجلا، وأشارت بيدها له نحو الداخل، اخذت حزمة الورد الأحمر التي يحملها بيده ووضعتها على الطاولة وتوجهت نحو الصالون وهو يتبعها، أشارت بيدها نحو الكرسي وسريعا ما جلس وهو يفك أزرار بذلته، وقفت بجواره لبرهة وهي تبتسم خجلا وسريعا ما حولت بصرها نحو الشرفة وهو يرمي بصره هنا وهناك وأردف قائلا: هو إسلام فين ؟!

ابتسمت واجابته قائلة: إسلام مع طيارته الورقية في الشرفة، لازم هتتعرفوا على بعض طبعا بس الأول لازم تشرب حاجة قبل الغدا.

ابتسم خجلا وأجاب قائلا: اي حاجة كويسة .

عندنا كل حاجة ما عدا الويسكي، واعقبتها بضحكة ساخرة .

أومأ برأسه مع ابتسامه خفيفة قائلا: لا لا انا ماليش في الحاجات دي بصراحة، ممكن نخليها قهوة سادة يا خلود هانم بما إنك مصرة على المشروبات !.

ابتسمت ورمت بصرها نحو الشرفة، وقالت بلهجة هادئة إسلام منسجم مع طيارته في الشرفة لو تحب تشوفه يعني البيت بيتك يا هاني بيه .

انتفض من مقعده وأجاب قائلا: دا شرف عظيم ليا اني اتعرف على إسلام بيه..

تبعته نحو الشرفة ونادت على الخادمة رضوى بصوت حاد، وطلبت منها أن تعد فنجان قهوة سادة وتحضره على الفور، اومأت رضوى برأسها، وتوجهت نحو المطبخ بخطوات سريعة، ظلت خلود تراقب هاني واسلام وهما يتسامرون ويلعبون سويا بالطائرة الورقية.

كانت تعلم أن الدم واحد وأنهما متقاربان كثيرا رغم جهل كلا منهم للآخر كان لقاء جميل ويوم أجمل لقد تناولوا الغداء سويا وقضوا وقتا ممتعا مفعما بالسعادة والمرح والتجديد، منذ زمن لم يحظى إسلام برجل مثالي يلهو معه ويغمر يومه بالسعادة، كانت الساعة حينذاك الرابعة عصرا دقق هاني النظر في ساعة يده وسريعا ما ارتشف عصير البرتقال المثلج؛ وقام من مقعده وطبع قبلته على جبين إسلام وأشار إليه مودعا.. كانوا

جميعهم سعداء أمسكت خلود يد إسلام، وظلت تشير بها بالوداع لهاني وهما مبتسمان، إلى أن رافقته حتى باب الشقة، وبعد أن أغلقت الباب خلفه فور رحيله أسندت رأسها على الباب، وغاصت ذاكرتها عبر ماضيها الذي .

نحاول كبت آلامنا واخفاءها حتى لا تكون عائق يحجب عنا الاحتفال باللحظات السعيدة في حياتنا ولكن لا يكون باستطاعتنا إخفاء الندبات التي تتوسط ملامحنا!. نظل نتمرد وندعي القوة ونكتفي بابتسامة زائفة لنقنع من حولنا بحجم السعادة التي نحظى بها نستطلع لحياة افضل ونحن لم نتوانى عن البحث بين رفوف الحاضر عن حلم كنا نظنه الحياة ولو ضمادة تهدئ من ألم الروح المزمن ولو بواسطة مرآة عاكسة تحمل داخلها أمنيات أميرات وحياة وردية بديلة عن واقع وضع النار بعمق وريدنا حتى جف الدم وأصبح كتل ثلجية تذوب مع حرارة الشمس وتتبخر إثر رياح عتيقة لتفنى مع حلما حلق عبر سماء صافية واختفى بين صفحات النجوم، لا بأس مازال داخلنا امل يغفو على شرفات غد ليلقى امنياته رغم سكون الليل وهدوءه إلا أن سماء ربي للأمنيات أوسع كم جميلة القناعة؛ حين تظن إنه لا فائدة من واقع دون اسمك في قائمة المتعوسين، رغم توالي العثرات رغم ضيق الزقاق رغم حلما اطفئ داخلك رغم بؤس روحك ومعاناتها إلا أن الحياة تحمل الكثير من المفاجآت !.

تنهدت قليلا، وتوجهت نحو الشرفة، ودنت من إسلام وطبعت قبلتها على جبينه وهي تحمل داخلها حطام العالم لم يبقى داخلها سوى أمل طفيف، ونظرات منكسرة، وعجز

أنثى، وحلم أم وروح أدمنت صراع الواقع؛ حتى أصبحت تلفظ أنفاسها الأخيرة رغم وهن اوصالها .

بعد ٣ اشهر

كثرت المشاحنات بينهم، كان الشك والريبة ينمو داخلها، كلما تطرقت السمع إلى حديثهم الذي بات يخفت كلما مرت بجانبهم صدفة، لم تكن تعلم أن وجودها أصبح حاجز يمنع تواصلهما سويا، كانت عيناها تراقب ملامحه وروحه التي تحلق نحو سماءها وصفاء ابتسامتها، كل ذلك لم يجعلها تنعم بيوم حافل بالسعادة أصبح تعامله معها واهتمامه بها يقل شيئا فشيئا حتى أصبح يومها خالي من التجديد والاهتمام، لم يستطع قضاء القليل من وقته معها كما كان من قبل؛ حتى حينما يخلد للنوم يظل شارد الذهن مع ذاته؛ وكأنه يفكر في شيئا ما لا ينتبه لوجودها بجواره ولا لعملها ولا لأي شيئا خاص بها، كانت تفكر كثيرا في سبب تغيره وتجاهله الذي بات ملحوظا !.

ومن منا لا تتمنى أن تحظى باهتمام زوجها وتدليله لها والارتماء بحضنه؛ كلما احست بثقل المسئوليات على عاتقها كلانا مكملان لبعضنا البعض رغم ضيق الخلق والزجر الذي ينتابنا إثر موقف مزعج إلا اننا سريعا ما تتناسى اي خلاف بعد كلمة جميلة وغداء مميز سويا ..

كان اليوم عقيم يفتقد للحيوية والتجديد، وربما الاهتمام ظلت ريهام مقيمة معهما لثلاثة أشهر وكل يوم تلاحظ تسنيم قوة العلاقة بين ريهام وزوجها أمير الذي لم يعد يعيرها اهتمامه مثل السابق، حين يعود من العمل سريعا ما يهرول نحو المطبخ بحثا عن ريهام !.

كانت تموت قهرا وهي ترى اهتمامه بأختها الذي زاد كثيرا حده، لقد تعدى كل الخطوط الحمراء تعدى كيانها، حتى إنها شارف على نسيانها؛ رغم أنها هي من تملكه، هي من أصبحت الزوجة والصديقة وملكت حياته منذ أن كان عازبا كيف له أن ينساها او يتجاهلها كان عقلها يفتقد الإجابة على كل الأسئلة التي باتت تزعجها وتنغص عليها حياتها .

احيانا ننسى من كانوا لنا سندا وجدارا واقيا نستند عليه، حين تنزلق اقدامنا او تتعثر عن المسير ونرتطم بالأرض؛ نجد من يكون مرافق لرحلة حياتنا التي بعثنا فيها، من الجيد أن تحظى بتلك القوة التي لن أتخلى عنك إلا اذا تغيرت طباعها وهرولت نحو زيف الحياة وفخها القاتل وبالنهاية ستعود ادراجها حتى تحظى بفرصة ثانية بل قلب منك.. وربما لتنال ركنا يهبها السلام لن تمحى آثار ذكريات، كانت جزء من حياتنا وايامنا الراحلة حتما؛ سنكون جزيلا يتجرأ من ماضي احدهم ذلك الماضي، هو الدروب التي ليس باستطاعتنا العودة إليها كالسابق، محظور علينا أن تطأ قدمانا بعد أن ذهبت دون أن ننتبه تشبه أحلام الواقع والخيال!.

هل باستطاعتك أن تحظى بحلم آخر متشابه مثل كل يوم، لن تراودك أحلامك؛ إلا اذا تعلقت ذاكرتك بذات الحلم ستجد نفسك تهرول نحوه!. ليس لأنك محظوظ؛ بل لأنك وضعت كل طاقتك وتفكيرك في ذلك الحلم حتى أعاده عقلك الباطن مرة أخرى، وكذلك الماضي نجلس بمفردنا ونحن نشرد في تفاصيله التي لم نعلم قيمتها سوى برحيله !. حتى ندمن التفكير فيه بذات الكلمة لو عاد الماضي لفعلنا كذا وكذا، لن نحظى سوى بتاريخ لا يتكرر، ولا يتم محوه سوى بفقدان الذاكرة!.

كان غارق في سيجارته وهو مكظوم الغيظ، بل تائه مع طيفها الذي فقده منذ خمس سنوات، هل له أن يعود لها ثانية!.

مازال يشتاق لرؤية جبينها الرقراق وابتسامتها التي تنبع من عمق قلبها، ظلت تراوده بأحلامه وهو يغفو على صوتها الناعم.. ولمسات يدها.

كم احس بجرمه الذي اخفاه عن الجميع لسنوات مازال ضميره يعاقبه آلاف المرات وهو يركد نحو وكر الرزيلة، لعله يتناسى ما فعله ولو لمرة، حتى سكون الليل لم يهدئ من ألم روحه المشتعلة، ظل شريط حياته يمر أمام عينيه.

حين عادت من عملها مبكرا وهي متعبة كثيرا، ودلفت نحو غرفتها لتنعم ببعض الراحة ولو قليلا اصطدمت عيناها بهما في فراشها لم تستطع رؤية خيانة أختها ريهام لها وخيانة زوجها أمير لم تكد تصدق ما تراه عينيها ظلت تصرخ بهستيريا وهي تنعت وجودها ومدى خيانتهم لها انتفض أمير مذعورا من فراشه، وهو يكاد شبه عاريا مجردا من

ملابسه، وقام بوضع يده على ثغرها حتى يكتم صراخها حتى لا يتسرب إلى الجيران.. إلى أن فاضت روحها وارتطمت بالأرض صريعة. ظلت ريهام تنوح وتتخبط كالشاه المذبوحة، وهي تلقي اللوم على أمير جراء ما فعل بأختها.

لم يكن بإمكانهما كشف ما حدث للقانون وإلا اصبحوا حديث المدينة وسينتهي بهما الأمر في أن يزجوا بالسجن علاوة على ذلك تردد صورهم بجرائد الأحداث ظلوا يفكرون مليا عن حل ليتخلصوا من جثة تسنيم الملقاة على الأرض، إلى أن نجحوا في اخراجها من الحارة في منتصف الليل ودفنها في مدفن العائلة خفية وفي حال سأل الجيران عنها سيخبرونهم بسفرها إلى القرية لزيارة عمتها والإقامة معها لبضعة أيام وبعد مرور خمسة عشرة يوما، تمكنوا من تغير السكن حتى يتخلصون من أسئلة الجيران التي باتت مزعجة عن تسنيم .

باستطاعتنا أن نخفي جرائمنا عن القانون أحيانا، ولكن ليس بمقدورنا تحمل ألم الضمير

.

سيأتي اليوم الذي نتمرد فيه، ونعترف بسوء جرائمنا وسنحظى بعقاب عادل يخلصنا من عقاب اوهن الروح، حتى هرولت نحو العدالة عاشت ريهام وامير سويا، بعد أن اعلنوا زواجهما ومرت السنوات وأصبح لديهم طفلان، ولم تملك من الحياة سوى زوجها وأولادها، لم يستطع أمير الأنفاق عليهم كما ينبغي، فلقد التهمه وكر الرزيلة حتى أصبح يعيش بعالمه الخاص مع تسنيم، لم يعلم حجم قيمتها سوى برحيلها، بل بذلك الذنب

الذي ارتكبه وأصبح يلازمه طوال حياته.. لم يكن أمام ريهام سوى البحث عن وسيلة لتوفير متطلبات الحياة واحتياجاتهم، إلى أن هرولت نحو المحظور وأصبحت تبيع الهروين والمواد المخدرة لشباب الجامعات حتى تحصل على نسبة مالية تسد بها احتياجاتهم !.

أحيانا ندفع ثمن اخطاءنا باهظا ونحن نعتصر الدمع في وعاء الخيبة ندما على افعالنا التي قد ندفع ثمنها عمرا يفوق اخطاءنا التي اقترفناها، تحصد تاريخ مملوء بمخالفات عديدة تعيق حياتنا رغم ايماننا بالغفران الذي نهرول نحوه لننال رضى الله، والامتثال للقانون والالتزام الذي يجعلنا نعيش بمأمن عن دروب الهلاك !.

لم يعد أمير يقوم بمسئولياته كما ينبغي، أصبح مجنون بالكيف وقضاء وقته مع الساقطات في قلب الخانة التي هي بيته الأول؛ لم يعد يهمه أمرهم. كيف مر يومهم وما متطلباتهم، وكيف أحوالهم، وماذا حدث معهم لقد حصل أخيرا على طفلان..

وأصبح أب، ولكن لم يغير ذلك من حياته بعد وفاة تسنيم!.

دائما ما تتفاقم المشاكل بينهم حتى أصبح يكره الحياة .

لقد ضاقت الحياة بها ذرعا، كيف لها أن تتخلص من تهديد الحقير أسامة، ازداد الأمر سوءا حين هرولت نحو المنزل وهي لاهثة الأنفاس حين شعرت بقبضة قلبها فجأة متسائلة، عن سبب قلقها هذا، ظلت طوال الطريق وهي تقبض على قلبها، مرددة جملتها المعتادة " استرها يارب"

إلى أن وطأة قدماها باب البناية، ارتجفت أعصابها وهي ثابتة وكأنها فقدت القدرة على السير لم تستطع التفوه بكلمة واحدة سوى دموعها التي انسابت على وجنتيها، وهي تنظر إليهم بعينان منكسرتان، وصوت عربات الإسعاف يتسرب إلى مسمعها، والجميع يهرعون نحو الأعلى ويحملون بأيديهم عبوات الماء، كان حريق هائل كان رجال الإطفاء يحاولون إخماد النار التي التهمت كل شيء ظلت تودع جثث طفلاها المتفحمين إثر الحريق الذي شب في الشقة نتيجة ذهاب طفلها إلى المطبخ ليعد وجبة طعام ساخنة، حينها كان هناك تسرب في أنبوب الغاز !.

كانت تودع صغارها بصمت وهي راكعا على كلتا ركبتيها، إلى أن شعرت بدوار شديد جعلها تسقط أرضا وتغيب في عالم آخر يخلو من الضوضاء.

بين حلما وواقع نحلق بجناحين قويان إلى أعلى حيث الظل والسلام بعيدا عن بندقية ذلك العجوز الكهل الذي اعتاد على الصيد وقطع سرب الطيور ليس به رمقه او ليتقن فن الصيد عبر قبض روح عصفور صاحب أمنيات، او يطمح إلى بدأ رحلته نحو عالم الطيران، والمكوث بعيدا

حتى ينال حريته، ولا يكون فريسة ضالة بيدي بشرية شرسة.

مهما اختلف تكويننا إلا أن كلا منا هدف وحياة خاصة؛ يخطط لها كما يحلو له، ولكن ماذا لو كنا بكنف من هو مسئول عنا رغم ضعفنا إلى أن يشتد العود ويصبح قادر على مواجهة تحديات الحياة وخوض العالم الافتراضي والمكوث فيه بين اناس يشبهوننا في

ملامحنا وطباعنا واذواقنا واهدافنا ونمط حياتنا، ويتقنون لعبة الشطرنج البلايستيشن، ومواكبة التقدم والتطور والتكنلوجيا..

هل سنتألف معهم ويحبوننا كحب الأم واهتمامها بنا ورعايتها لنا، لا أظن ذلك كانت ولازالت تتابع أحداث طفلاها وهي تقيم بقسم النفسية العصبية بين فاقدي العقل والتمييز وهي تحمل بين يديها عروستها تسنيم !.

ظل يلقي نظرة على ملف القضية التي حانت جلستها صباح غد وهو يرتشف فنجان قهوته فرنسي الماركة في غرفة نومه، قبل أن يخلد إلى النوم.. دلف إليه رامي وهو يتسكع مع جواله بحثا عن شبكة واي فإي؛ ليتابع أحداث المباراة النهائية لمنتخب غانا فهو رياضي من الدرجة الأولى، يعشق البطولات النهائية الحاسمة ويشجع جميع المنتخبات وله الكثير من محبيه أبطال الكرة المصرية والعالمية، لا يتمتع بالعنصرية قانونه الوحيد" أن النصر لمن باستطاعته فرض قوته بأرض الملعب " ليس هناك تميز ولا عنصرية، جلس بجانب أخيه الأكبر هاني وهو يتابع المباراة ويزرع الغرفة ذهابا وايابا وهو منسجم بالمشاهدة، ومعلق اهدابه بشاشة جواله نظر إليه هاني بنظرات ساخرة رافعا إحدى حاجبيه باقتضاب قائلا: هو انت لسه بتابع مباراة يا رامي بعد الضرب اللي أكلته من المعارضين!.

وظل يضحك بهستيريا بعد أن ألقى الملف جانبا .

نظر إليه رامي بنظراته الساخرة وأجاب قائلا: تصدق يا هاني اني بطلت أكون محايد وبقيت احب كل الفرق مهما اختلف اسمها وجنسيتها!. وتعيشي يا مصر يا ام الدنيا؛ عشان تعرف أننا اهل ذوق وكرم ومش بنكره حد .

انفجر هاني ضحكا وهو يتخبط يمنة ويسرة بصوت مبحوح، رمى رامي بصره نحو الملف، دنا من الأرض محاولا جلب الملف الذي ألقاه هاني جانبا، إلى أن أستقر بالأرض. حين تخبط هاني ضحكا على رامي، نظر إليه التهمته الدهشة !. حين لمح اسم خلود يسري عبد الجبار، جف ريقه تغيرت ملامحه، وكأنه لا يصدق ما رآه، وسريعا ما رمى بصره على أخيه..

هاني مستفهما: قولي يا هاني هي مين خلود عبد الجبار دي وإيه حكايتها ؟!

اعتدل هاني في جلسته واضعا سيجارة، وظل يرمي بقاياها بعيدا في المطفأة الموضوعة على المنضدة بجانب سريره وأجاب قائلا: بص يا سيدي خلود دي حكايتها حكاية هي متجوزة من رجل أعمال يجي أد أبوها كدا، والظاهر إنها كانت مجبورة في الجوازة دي، يعني جوازه صالونات بواسطة عمها ومرات عمها، وللأسف إنها اتجوزت الراجل دا في السر بناء على ورقة عرفي لأن الراجل جوزها اللي اسمه الدالي متجوز قريبته ومعانا ثروة تقدر بملايين!.

فهو بأة الوصي والمالك عليها بعد الجواز، نتج حمل وانجاب، والولد لازم ينتسب لأبوه الدالي رغم إنه أعترف بيه في الواقع الافتراضي إلا إنه رافض نسبه ليه قانونيا لأن

في حالة تم نسب الولد ليه هيخسر كل الأملاك لو زوجته عرفت بموضوع جوازه من واحدة تانية!. يعني في الأول والأخر حقها وحق أبنها إسلام ضايع لذلك لجأت ليا وانا قبلت القضية، وبكرة اول مرافعة فيها بإذن الله .

يااااااه معقولة فيه ناس كدا يا هاني اذاي ينكر أبنه قانونيا !.

انا خايف عليك يا هاني من الدالي، دا الظاهر إنه راجل شراني ومش نضيف من جواه، حاول تسيب القضية لحد تاني من زمايلك، هيكون افضل بكتير يا هاني .

أبتسم هاني ابتسامه خفيفة وارتشف نفسا من السيجارة، ونفث الدخان جانبا وقال : إيه يا رامي هو انت من إياهم ولا إيه!. خلي قلبك اسد يا حبيبي، وبعدين انا ياما جالي تهديدات من الدالي دا عشان اسيب القضية وانا رفضت، وصممت على المرافعة فيها، القانون دا بحوره واسعة وغويطه ومحتاج تضحية عشان توصل للحقيقة، وترجع حقوق الناس وتنصرهم لو كل واحد خاف يترافع في قضايا المظلومين مكنش حد اخد حقه ولا انتصر !.

زم رامي شفتيه، وهو تبدو على ملامحه علامات الضيق، وأجاب بلهجة حادة قائلا: هو احنا إيه هنكسبه لما نخصرك يا هاني؛ بلاش القضية دي من فضلك يا هاني، انا خايف عليك اوي، ومش هقدر أشوفك بتجازف بحياتك في الخطر، واقف اتفرج عليك !.

اسمعني يا رامي كل تصوراتك دي ليس لها أساس من الصحة، ما تستسلمش للأوهام، وصدقني انا مش خايف من الدالي دا ولا يهمني في شيء، انا بدافع عن حق؛ عن نسب؛

عن حق ناس ومن واجبي اني اقف جنبهم ومش هرتاح غير لما اجيب حقهم لحد عندهم، ومن النها ردة الموضوع دا

منتهي تماما ولا جدال فيه اتفقنا ؟!

أومأ رامي برأسه وعلامات الحزن تتوسط ملامحه.

احتضن هاني أخيه الأصغر رامي، وظل يحدثه بلهجة هادئة قائلا : ما تقلقش يا رامي انا مقدر خوفك دا بس كل شيء هيكون تمام، اهم حاجة إنك تركز على ما تش غانا وشجعه بضمير. انفجر رامي ضاحكا وهو يستروح عن نفسه، ظلوا سويا يتسامرون عن مباراة غانا والمكسيك إلى أن أثقل النعاس عيني هاني .

خرج رامي على أطراف اقدامه خفية مع الملف الأزرق الخاص بقضية خلود يسري عبد الجبار وصعد داخل سيارته، وتوجه سريعا نحو شقة خلود، كانت الساعة حينذاك الحادية عشرة مساء خرج من السيارة بعد أن ركنها تحت البناية وصعد داخل المصعد إلى الطابق الثالث دق جرس الباب هرولت خلود نحو الخارج من غرفة نومها؛ وهي ترتدي روبها أبيض اللون، وجدائل شعرها ملقاه على كاهلها..

تساءلت عن من يكون الزائر بهذا الوقت، فتحت الباب بخطوات متباطئة تبعتها رضوى التي أثقل النعاس عينيها، وفاقت من غفوتها مذعورة، اصطدمت عيناها به واقف خلف الباب وهو تبدو على ملامحه علامات القلق والضيق .

ابتسمت خلود وأشارت بيدها إلى الداخل واجابته بلهجة هادئة: اتفضل يا رامي، كنت متوقعة إنك هتزورني في يوم .

تنهد قليلا ورمى بصره هنا وهناك وتبدو على ملامحه علامات الزجر وأردف قائلا: انا مش هسمحلك تضيعي اخويا يا خلود بسبب مشاكلك الشخصية مع الدالي، انا جيت النها ردة لسبب واحد بس عشان اقولك أن هاني رفع ايده عن القضية، وياريت تشوفي محامي تاني يتولى قضيتك، ألقى الملف في وجهها جانبا، واستدار بوجهه للخارج.. وهم بالرحيل .

قاطعته قائلة: انا مش هسيب هاني إلا إذا حصلت عليك انت يا رامي، وإلا هتكون العواقب وخيمة وهتندم اوي صدقني .

انفجر ضاحكا يستروح عن نفسه، ونظر إليها بنظرات السخرية وأجاب بلغة حادة : أقصى ما عندك اعمليه يا خلود، ذهب سريعا نحو الأسفل وهو مكظوم الغيظ اغلقت هي باب الشقة خلفه وهرولت نحو غرفتها، واحتضنت وسادتها ودموعها الحارة تسيل على وجنتيها، ظلت تعاني ضعفها الذي بات علامة قاتمة تلون حياتها بألوان الخيبة والانكسار، لم يكن باستطاعتها أن تواجه العالم بطفل ليس له أب، كيف لها أن تؤمن له حياته وتهبه حقه الشرعي في الانتساب لأبيه، ظلت تهدئ الفوضى العارمة داخلها من خلال دموعها المنهارة التي تركت هالة سوداء حول أهدابها العريضة، قامت من سريرها وتوجهت نحو صنوبر الماء، أمسكت الفوطة المعلقة على الشماعة وحاولت أن تجفف

الماء الذي على وجهها؛ بعد أن قامت بغسله بمياه ساخنة، توجهت نحو سريرها مرة أخرى اتكأت عليه وهي شاردة الذهن قليلا، قطعت الوسع من الصمت بكلمات مقتضبة قائلة:

لا سبيل لي سوى المواجهة !.

جلسوا طوال الليل يتحدثون، وعيناهما كثعلب ماكر يجوب الأزقة بحثا عن فريسته الضالة، لم يبرح مكانه طوال الليل وهو ينتظر رؤية ذلك الغريب الذي تجرأ على الدخول إلى بيته كل ليل

كان ينتظر وقوعه في الفخ الذي قام بنصبه بواسطة سيهام التي حاولت جهدها على مساعدته، كم كانت في نظره زوجة مخلصة، حتى إنه نسى ماضيه وذكرياته مع زوجته تغريد، هذا حال زوج الاثنين والاربع دائما ما يتناسى دور الزوجة الأولى ومدى فضلها عليه !. يفرط فيها مقابل حفنة سعادة زائلة، وذلك لا ينفي وجود الكثير من الأزواج المخلصين الذين يبقون على عهدهم مهما طالت أعمارهم، لن يهرولوا نحو آخر، بل يكتفوا بمن دفعت حياتها لهم، وتحملت عبئ أسرة برمتها .

أشارت بيدها ونهرته بصوت هامس قائلة: شايف يا محمد دا الجاسوس اللي في بيتك، وهو حاليا في هيئة تغريد الظاهر، انه تعود يسكب الزيت مع الحليب؛ عشان تأكل أولادها هما بيجوا على البيت في هيئة قطط صدقت كلامي يا محمد ؟!

أحمر وجهه اضطربت أعصابه، هرول مسرعا نحو المطبخ؛ وهو حاملا بيده قطعة حديدية وهم برفعها وقام بضرب تغريد على دماغها إلى أن ارتطمت بالأرض، وهي تسبح في دماءها.

اما سيهام فظلت تصفق بكلتا يديها وهي تشجع جراءة محمد وشجاعته، وأنه بطل مغوار وسيد قلبها والفارس الذي لا يقهر، جلس بجوارها يتحسس نبضها الذي ظل يخفت شيئا فشيئا، حتى أصبح عدم..

ظل ينظر إلى سيهام التي تقف بجواره وهو مرتسم على ثغره ابتسامه عريضة وأردف قائلا: هي تغريد فين ناديها يا سيهام عشان تشوف الجاسوس، هي هتفرح اوي لما تشوف

تاليا ماشية على رجليها وأخيرا هتعيش عيلتي بسلام بعيدا عن العالم الآخر..

دنت منه سيهام ونهرته بصوت مبحوح قائلة: تغريد الحقيقية ماتت خلاص يا محمد الجاسوس الحقيقي قدامك .

ظل يرمي بصره هنا وهناك ويتأمل ملامح تغريد وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة !.

ارتسمت سيهام على ثغرها ابتسامة عريضة، وأشارت بسبابتها نحو تغريد قائلة: تغريد مش الجاسوس يا محمد، دا كان مجرد فخ عشان اقدر اتخلص منها بواسطتك يا حبيبي

.

اصطدمت عيناه بالخاتم الذي ترتديه في سبابتها، التهمته الدهشة، وأصفر وجهه حين رأي ضوء أزرق يخرج منه، تذكر حديث ميهرة معه حين أخبرته أن الخاتم هو رمز الحماية له وسيجعله بمأمن بعيدا عن غضب الجن، هناك علامة واحدة اذا أرتدى هذا الخاتم اي إنسان؛ وظل الخاتم يضيئ في إصبعه، فهو ليس إنسان وإنما طاقة سلبية متشكلة بهيئة إنسان، وليس باستطاعة اي احد القيام بهذا سوى ملوك الجن وجواسيسهم .

جف ريقه تخدرت قدماه، حتى أصبح كمن فقد قدميه وهو يجلس في مواجهة الطوفان، ظل يتحسس نبض تغريد التي فاضت روحها إلى السماء، تحولت سيهام لهرة شرسة بجسد آدمية، ووجه هرة كم كانت بشعة الملامح !.

ظلت دموع محمد تنساب كشلال منهمر وهو يلقي اللوم على نفسه، حين خلف عهده مع ميهرة أتدرون من تكون ميهرة سأقص عليكم قصتها الآن فقط امهلوني برهة.

****

بعد ١٠ ساعات

استفاق من نومه العميق على عجل من أمره لقد تأخر كثيرا، ولم يبقى على المرافعة إلا نصف ساعة ارتدى بذلته رمادية اللون وحذاءه الجلد، وضع القليل من الجيل ومشط شعره ووضع القليل من البرفان كعادته توجه نحو مكتبه في غرفته وظل يبحث عن الملف الأزرق الخاص بالقضية الذي يحوي على بعض المستندات التي تثبت صحة زواج خلود

من الدالي، بواسطة الورقة العرفية وأيضا ضرورة إخضاع إسلام لتحليل DIN حتى ينتسب إلى أبوه الدالي، ويحصل على حقه

الشرعي ظل يبحث هنا وهناك وهو ينظر لساعة يده بين الفنية والأخرى، قلب الغرفة بحثا وهو لا يكاد يتذكر أين وضع الملف ليلة البارحة، انتابه الضيق والغضب وظل يفكر لبرهة؛ ماذا يتوجب

عليه أن يفعل !. دق هاتفه الخلوي ضغط على زر الرد وأجاب بلهجة حادة : الووووووو

_ صباح الخير يا هاني بيه .

_ صباح الخير يا أستاذة خلود .

_ انا أسفه لأني ازعجتك باتصالي بدري كدا .

_ لا يا فندم حضرتك تشرفيني في اي وقت .

_ انا محتاجة اقابلك ضروري لأمر هام .

_ حاضر بعد المرافعة النها ردة همام حضرتك ونشوف المكان اللي هقابلك فيه.

_ انا هكون ممنونة لحضرتك لو تركت لي اختيار المكان .

_ اكيد طبعا يا خلود هانم حضرتك تؤمري.

_ اوك انتظر مني اتصال النها ردة مرافعة موفقة يا هاني بيه .

_ متشكر جدا يا خلود هانم .. مع السلامة .

القى الخلوي هاتفه جانبا، وظل يبحث في الخزانة الخشبية، وادراج المكتب واعلاه وهو مضطرب الأعصاب؛ كانت الساعة حينذاك العاشرة صباحا، أوشكت الجلسة أن تبدأ هرول نحو الخارج ممسك بحقيبة يده في يده اليمنى، ومفتاح سيارته وجواله الخلوي باليد الأخرى، كان

الغضب ينتاب ملامحه، وهو يحاول التذكر أين وضع الملف بعد نصف ساعة وصل إلى المحكمة ودلف إلى قاعة المرافعات بعد أن اعتذر عن التأخير لظروف طارئة سمح له القاضي بالحديث

وبدأ المرافعة عن القضية وطلب من القاضي تأجيل المرافعة لحين تقديم إثبات ملموس بصحة ما توصل إليه من بيانات واثباتات..

أومأ القاضي برأسه على الموافقة، واجل الجلسة إلى حين حضور الاثباتات اللازمة لصحة الادعاءات، بعد أن خرج الجميع من قاعة المحكمة، توجه هاني إلى مكتبه؛ حتى يبحث عن الملف الخاص بقضية خلود يسري عبد الجبار لعله يجده هناك صعد إلى سيارته وتوجه سريعا نحو شارع الجمهورية الكائن بذات المحافظة، ويبعد عن المحكمة ربع ساعة كان المكتب بالدور الثالث، وهو بمثابة مركز استشارات قانونية كبير، يحوي الكثير من القانونين هناك، وتبادل الخبرات، دلف سريعا إلى المكتب، وظل يبحث مليا بين الملفات الموجودة على مكتب، فلم يتمكن من إيجاده جلس على كرسي مكتبه، اتكأ للخلف وأغلق عينيه لبرهة وكأنه يحاول أن ينعم ببعض الهدوء لعله يستطيع تذكر

أين وضع الملف، كان عقله مثقل كثيرا انتابه اليأس أمسك علبة سجائر كيلو باترا اخرج سيجارة واشعلها من القداحة، وظل يرتشف نفس إثر آخر وهو يحاول التذكر عن مكان الملف، محدثا نفسه قائلا : يا لسوء حظه كل ما ظل يخطط إليه قد فشل كيف بإمكانه، أن يخبرها عن صدق مشاعره لها وحبه الذي جعله ينسى ما عاناه في حياته

اذا لم تنتهي هذه القضية، لن يكون بإمكانه عرض الزواج عليها!.

ماذا يتوجب عليه أن يفعل ؟

أخرج هاتفه الخلوي وظل يبحث في قائمة الأسماء في جواله، وضع سبابته على رقم هاتفها وضغط زر الاتصال، أجاب قائلا: الووووو انا خلصت مرافعة يا خلود هانم تحبي نتقابل فين ؟!

_ اجابته بأحبال صوتية مختنقة انا في بيت العيلة يا هاني بيه .

_ مش فاهم حضرتك تقصدي عندك ولا عندنا ؟!

_ انا عندكم يا هاني بيه ياريت ما تتاخرش .

_ اجابها بلغة متقطعة التهمته الدهشة!. كيف عرفت مكان منزلنا وما سبب وجودها هناك !.

اخذ جواله الخلوي ومفتاح سيارته وحقيبة يده وتوجه مسرعا نحو الخارج استقل المصعد وركب سيارته وتوجه إلى التجمع الخامس.

حين وطأة قدماه عتبة المنزل رمى بصره هنا وهناك، والجميع ينظرون إليه مستفهمين عن وجود خلود بينهم وهي تحمل أبنها إسلام وتلهو معه أمامهم، وكأنها غير عائبة لوجودهم أقترب منها وهي تجلس على الأريكة في الصالون بابتسامة باهتة قائلا: نورتينا يا خلود هانم . دنا من إسلام وطبع قبلته على جبينه قائلا: شرفتنا يا بطلي الصغير .

ظل يلوح إسلام بلعبته باتمان في وجه هاني، وهو يبتسم بين الفنية والأخرى.

استدار هاني وتوجه نحو والده فريد وامه، وأخته سالي؛ وأشار بيده نحو خلود قائلا: اعرفكم بخلود هانم يسري عبد الجبار، هي صاحبة قضية عندي، ودا أبنها إسلام الدالي الحكيم .

أومأ الجميع براسهم مع ابتسامات تعلتي ملامحهم، وظلوا يرحبون بها بعبارات الترحاب.

أشار هاني بيده إلى عائلته بالجهة المقابلة قائلا: ودول يا خلود هانم بابا وماما واختي الصغيرة الاروبة سالي وروان حاليا في الجامعة، قطع حديثه وأجاب مستفهما: هو رامي فين يا ماما ؟!

_ اجابته والدته رجاء رامي خرج راح النادي مع صحابه هناك .

_ أجابت خلود بلهجة هادئة قائلة: معلش يا طنط رجاء ممكن تتصلي فيه لأن وجوده مهم جدا .

كانوا جميعهم في حالة دهشة من ضرورة حضور رامي .

اجابها هاني مقاطعا هو إيه الموضوع المهم يا خلود هانم احنا ممكن نروح اي كافي ونتكلم هناك افضل!.

ارتسمت على ثغرها ابتسامة باهتة قائلة: لا يا هاني بيه هو الموضوع يخص العيلة كلها وضروري يكون رامي موجود بينا دلوقتي .

استدار هاني وهو تبدو على ملامحه القلق الشديد، أخرج هاتفه الخلوي من جيب بنطاله واعاد طلب رقم رامي وأخبره أن يأتي في الحال لأمر ضروري لا يحتمل التأخير، جلسوا جميعهم في الصالون وهما يتساءلون بنظرات حادة عن وجود خلود وما سبب حضور رامي !.

اشتاط غضبا حين وصله نتيجة التحاليل رغم ملامحه المخيفة، وبطنه المنتفخة، وقصر قامته إلا إنه كان يرى أنه رجل لا يقهر، ليس هناك اي قوة قادرة على هزيمته أو ردعه، كان يحبها كثيرا ولكن حبه للمال والثروة، كان أكثر من حبه لها، يعتقد أن الحياة هي أموال وتجارة وبدونهما يصبح الإنسان مجرد عالة ليس له أدنى هدف او أهمية، وربما أصبح بلا كيان..

او نسب ولكن أصبح اذكى مما كانت تتوقع، كان باستطاعته جلب العالم بين كفيه رغم نباهة محاميه الذي أشار عليه أن يقوم بإخضاع الطفل إسلام لتحليل DIN ويقوموا بتزوير نتيجة التحليل من مختبر آخر لتكون حجة قوية ضدها وفي هذه الحالة سيكون بمقدوره تبني إسلام قانونيا حتى يكون صاحب فضيلة وبذلك لن تمانع زوجته!.

من أن يتبنى طفل يتيم ليكون ابنهما في المستقبل، لم يستطع أن يصدق أن إسلام ليس من صلبه وان كان من شخص آخر غيره لقد خانت خلود ثقته وجعلته مجرد لعبة في متناول أيديهم هي وعشيقها انتفض من مكتبه، وحمل مسدسه في جيبه؛ وتوجه نحو شقة خلود برفقة رجاله الحرص الخاص، كانت عيناه محمرتان وهو يشتاط غضبا، تمكنوا من الدخول إلى الشقة ولكن، لم يكن هناك سوى الخادمة رضوى التي دلتهم على مكان خلود، وأنها ذهبت لمقابلة محامي القضية هاني فريد ابو المجد. ظل رامي مشغول البال ليس من عادة هاني أن يتصل به ويطلب رؤيته !.

هل علم باني انا من قمت بأخذ ملف قضية خلود يسري عبد الرحمن، اذا علم بذلك لن يصفح عني حينها..

أو قد تكون خلود هي من أخبرته اني قمت بتهديدها بشأن القضية ماذا يتوجب عليا أن أفعل، ركن سيارته حمراء اللون أمام المنزل، وهرول مسرعا نحو المنزل، توجه ناحية الصالون وهو مشغول الفكر اصطدمت عيناه بخلود وهي جالسة بغرفة الصالون مع طفل صغير يبدو إنه إسلام برفقة والده ووالدته وأخته الصغرى سالي، رمى بصره نحو أخوه الأكبر هاني جف ريقه حين هرول نحوه هاني وأمسك معصمه وأجاب قائلا: الحمد لله على سلامتك يا رامي خليني اعرفك بمدام خلود يسري عبد الجبار اللي حكيتلك عنها قبل كدا، أصفر وجهه ارتجفت أعصابه أومأ برأسه مع ابتسامة باهتة وأجاب بكلمات متقطعة: أهلا وسهلا يا خلود هانم!.

تنهدت قليلا وأجابت قائلة: تشرفنا يا رامي بيه انا سعيدة جدا بزيارتكم ووجودي بينكم؛ واتمنى إني اكون واحدة من العيلة يا رامي انت تعرف انا حبيت اهلك اوي وكمان هاني بيه إنسان قمة الذوق والاحترام، التهمت الجميع الدهشة وهما ينظران لهاني بنظرات الاستفهام، استدار رامي للخلف وأجاب بلهجة حادة : انا هروح اريح شوية لأني تعبان جدا، قاطعته خلود قائلة: معلش يا رامي بيه انا خليك معانا شوية دي القعدة جميلة، وبعدين انت محظوظ اوي بالعيلة الرائعة دي، في ناس غيرك انحرمت من اهلها وداقت الذل في غيابهم من اللي يسوى واللي ما يسواش !.

تنهد قليلا ورمى بصره نحو امه رجاء وابوه فريد الذين ينظرون إليها بنظرات الرأفة.

دلف إليهم الدالي برفقة رجاله أصحاب الأجساد الضخمة المتصارعة وهو تبدو على ملامحه علامات الغضب وأردف بلهجة حادة مع ابتسامة باهتة ساخرة تتوسط ثغره قائلا: كنت عارف إنك هنا يا فاجرة يا عديمة الحياء التفت إليه وهي تبدو على ملامحها علامات الضيق انتفض الجميع من مقعدهم وهم يتساءلون عن من يكون هذا، صفق هاني على كلتا يديه وأشار بيده اليمنى قائلا:

اهدوا يا جماعة خليني اعرفكم برجل الأعمال المشهور الدالي بيه، اللي كمان اسبوع وهيكون طليق خلود هانم وهو والد إسلام اللي كان ضحية كذبه ونفاقه على خلود قاطعه الدالي قائلا:

حضرتك مخطئ يا هاني بيه..

لأن خلود هانم طلعت خيانة والتحاليل كلها أثبتت اني إسلام مش ابني ألقى الدالي التحاليل في وجه خلود وهو يشتاط غضبا، التهمت الجميع الدهشة، أجابه هاني بلهجة حادة قائلا انت عديم الأخلاق، انت فاكر إني ممكن أصدق التفاهات دي واللعبة القذرة اللي بتلعبها ضد موكلتي!.

_ انا فعلا كنت هلعب لعبة قذرة وانفي نسب إسلام لإسمي؛ بس اتضح أن إسلام مش ابني ولا من صلبي والله أعلم خلود هانم غلطت مع مين وهي على ذمتي .

أمسك رامي التحاليل وظل يدقق النظر فيها اختطفها هاني من بين يديه وهو تبدو على ملامحه علامات الغضب الشديد، ظلت دموع خلود تنساب على وجهها، وبعدها أجابت بلهجة حادة قائلة:

كلام الدالي صحيح يا هاني بيه إسلام مش ابن الدالي؛ وانا اتصلت بيك النها ردة ووجودي بينكم كان عشان اعترف لك بالسر اللي خبيته من سنين عن كل الدنيا انا فعلا خاطيه ومذنبة وخاينة بس عشان حبيت وعشقت الإنسان اللي عشقته؛ كان هو كل الدنيا كان حلمي اللي تمنيته وعشت استناه عمري كله.

قاطعها هاني وهو يشتاط غضبا قائلا : انتي بتقولي إيه واذاي تخليني أقاضي إنسان برئ انتي استحالة تكوني إنسانة، اكملت حديثها وهي شبه منهارة والجميع ينظرون إليها بنظرات

الضيق والغضب من سوء ما فعلت دنت من حقيبة يدها واخرجت تحليل DIN وقامت بإعطائه لهاني فتح هاني ورقة التحليل، وظل يدقق النظر فيه ويقرأه بتمعن لم يستطع التفوه بكلمة واحدة حينها، وهو يكاد يفقد عقله، ألقى الورقة على الأرض، وجلس على الأريكة واضعا كلتا يديه على جبينه، أقترب منه رامي متسائلا. أشار الدالي إلى احد حراسه بجلب الورقة الملقاة على الأرض له ظل يقرأ ما هو مدون فيها، بعد أن أخرج مسدسه كاتم الصوت من سترته قائلا: يعني عشيقك هو رامي اخو الأستاذ الكبير هاني بيه بجد برافو عليكي وهو بيساعدك عشان تلفقوا ليا القضية واكون حديث شيق للناس والجرائد انتي احقر انسانة شفتها في حياتي، لم يستطع رامي استيعاب ما يحدث حوله، صرخ بوجه خلود متسائلا: انتوا بتقولوا إيه اذاي إسلام ابني انا مش فاهم حاجة وإيه الورقة دي !.

دنا رامي من أخيه هاني متسائلا عن تلك التفاهات التي تلقيها عليهم خلود قاطعته.

خلود قائلة: انا مرة اتصلت بيك يا رامي وطلبت منك تجيلي في شقة الجيزة لأني تعبانة جدا ومكنش معايا اي حد ساعتها رفضت بحجة اني متجوزة الدالي وانك خلاص نسيت قصة حبنا أيام الجامعة وانك بتتمنالي السعادة يومها، الحيت عليك لحد ما وفقت تيجي، في اليوم دا فضلنا نتكلم عن ذكريات الجامعة وحبنا؛ واد إيه كان أيام جميلة، شربنا ويسكي وبيرة لحد الفجر واحنا سهرانين مع بعض، بعد شهر من مقابلتنا دي حسيت بأعراض غريبة تقيئ وغثيان ودوار، كنت فاكره إن دا مع تغير الجو والمناخ

بدأت حالتي تسوء اكتر واكتر؛ لحد ما قررت اروح للدكتور كان خبر صادم ليا " لما قالي أن اني حامل في الشهر الثاني"، يومها كان الدالي مسافر بره مصر

من خمس شهور مع مراته في كندا مقدرتش اقولك عن اللي حصل لأنك مكنتش بترد على اتصالاتي، قررت اشيل الحكاية لوحدي بس كنت عارفه ان هيجي اليوم اللي هتنكشف فيه كل حاجة، مكنش قدامي حل غير إني اتقرب من هاني أخوك وبكدا هضمن حقي في اني انسب إسلام لأبوه الحقيقي، عشان يتربى في ضله وفي حضنه.

قاطعها رامي قائلا: إيه التخاريف دي ..انتي اكيد مجنونة؛ انا استحالة أصدق الكلام التافه دا.

أشهر الدالي مسدسه في وجه خلود وقال: اللي ذيك حرام يعيش يا خاينة صوب رصاصته نحوها اصطدمت الرصاصة في قلب هاني حين دفش خلود جانبا، وبعدها سقط أرضا.. هرول الجميع نحوه وهما يتحسسون جسده، ويتخبطون كالشاه المذبوحة، وهو يسبح في دماءه؛ إلى أن لفظ أنفاسه الأخيرة !.

كانت تتسلل إليه من النافذة كل مساء وهو غارق في نوم عميق، يستفيق على نغم صوتها الخلاب الذي يجلب السكينة والراحة داخله، وكأنه يستمع لحفلة أوبرا، استفاق من نومه على صوت أنفاسها التي تتسرب إلي مسمعه وهو ملتف بفراشه على سريره الخشبي المدود بجانب المنضدة، لم يكن يستطيع رؤيتها، ولا يمكنه نكران ذلك

الصوت الذي يتسرب إلى أذنه كل منتصف ليل، ظل يتناول حبوب مسكنة لعله يغفو وينعم بنوم هادئ بعيدا عن الكوابيس التي تنغص عليه نومه وتجعله مرهق الجسد والذهن؛ فليس باستطاعته أن يقاوم النوم في حصة الرياضيات، ووجب عليه أن يكون يقظا منتبها من استاذ الرياضيات حتى يحصل على مجموع مشرف في الصف الثالث الثانوي.

وذات مساء ظل ساهرا في تلك الليلة وهو يتابع دروسه وواجباته حتى يكون مستعدا لاختبار الأحياء صباح غد، اصطدمت عيناه بها وهي ترتدي فستان مزركش قرمزي اللون يتدلى لركبتيها، وعيناها الواسعتان الزر قويتان، وشعرها الأشقر، وثغرها القرمزيتان واسنانها ناصعة البياض، وقامتها الطويلة وجسدها الممشوق، لم يكن باستطاعته تحريك عينيه عن جمالها الخلاب الذي اصعق عقله؛ وجعله يتأملها طوال الليل صعدت من النافذة، وجلست بجواره في الشرفة في الطابق الثاني وهي تدري ركبتيها إلى أسفل، اعتاد على رؤيتها كل مساء وابتسامة معها تحت نجوم السماء التي تشع نورها على الكون. أصبحت الشخص الرئيسي في حياته، بل ومن أولوياته، إلى أن احبوا بعضهما وقرروا التخطيط لمستقبلهما سويا، بل وكان رفيقها في رحلتها حول العالم كانت تملك قوة خارقة تجعلك في ذهول، تحول ذلك الحب إلى عشق بل إلى عشق حد الثمالة كان يحصل على درجات نهائية عقب كل لايزال حتى أتى يوم تخرجه من الجامعة، كانت هي من تدعمه

وتذكره بكل ما كان يتناساه في المناهج الدراسية نال إعجاب الجميع من رفقاءه الفتيات، كان عمره حينذاك أثنين وعشرين عام كان والده الشيخ عبد الجليل متمكن في علوم الفقه والحديث الإسلامي وعلوم التشريع، لذلك أثر على ضرورة أن يدرس ابنه محمد أصول الفقه والحديث مثله حتى يكون باستطاعته إكمال مسيرة ابيه في الخطبة بالناس والعظة، ولكن تناسى محمد دراسته كليا وهو منسجم معها في عالمها ورحلاتهما سويا عبر العالم، تعاهدا على الا يتزوج من أخرى سواها، اهدته خاتم الحماية خاضتها حتى يكون يحميه من غضب والديها اللذان كانوا يكرهونه كثيرا ولا يرون إنه يناسبها لأنه ليس من عائلة ملكية.

أن أتى اليوم الذي قرر فيه الشيخ عبد الجليل تزويج ابنه محمد من تغريد ابنه صديق طفولته الشيخ منير رفض كثيرا وحاول بشتى الطرق عدم الامتثال لقرار ابوه إلى أن أتى اليوم الذي احتدم الخلاف بينهما على أشده وحاول والده عبد الجليل

التبرؤ منه اذا أثر على الرفض وعدم الامتثال لأوامره، استسلم للأمر ووافق على الزواج رغما عنه، لم يكن لديه القوة على نسيانها لقد حاول كثيرا.. اتى يوم زفافه الذي كانت المدينة جميعها

تنتظره، كانت آخر رحلة يرافقها فيها قبل زفافه بساعات في منتصف الليل، بعد أن جلسوا سويا وصوت نحيبها يصعق الأزقة؛ جلست في محطة القطار وبينما أتى القطار سريعا تمددت بين القضبان الحديدية حتى التصقت به.

لقد كانت حادثة بشعة، كانت تسبح في دماءها حتى لا ترى اللحظة التي يزف فيها لأخرى!.

سقط على الأرض مغشيا عليه من هول الموقف، وقوة الصدمة التي جعلته يرقد في فراشه لعامان كاملين حزينا على فراقها.

هل تذكرت ميهرة تلك الجميلة التي خسرت حياتها بسببك، واليوم خسرت زوجتك تغريد لن يترك الجن ثأره ولو مر عليه قرون !. انا إسمي سريانا خادمة سيدي ريمهان ووصيفة الملكة مرجانا والدة ميهرة صديقة طفولتي !.

عش بين ازقة القضبان الصدئة حتى تلاقي حتفك مثل زوجتك تغريد، انتفضت من سريري الذي يخيل إلي اني رقدت عليه لسنوات عديدة كجثة محنطة تفتقد، للحياة استمعت لحديثها خفيه، كانت بشعة للغاية وهي تتحدث مع أبي بصوت مبحوح مخيف جدا كان أبي مكتفي بالصمت من أثر الصدمة، لم يستطع رمي بصره عنها لبرهة، وكأنها ألقت عليه تعويذة ما..

كان الموقف مميت حقا يجعل جسدك يتخدر وكأنك فقدت توازنك والدم هرب وتجمد في وريدك حتى ريقك يصبح كمن عاش في الصحراء فانقطع عنه الماء فتدلت لعابه من فمه بحثا عن الماء!. اما أمي فهي رحلت إلى حيث يرحل الطيبون؛ رحلت إلى عالم أكثر امانا وسلاما، اكثر نقاء وعدل، كنت أودعها بنظرات منكسرة واهداب

متآكلة لم استطع أن اصدق أن أمي لاقت حتفها على أيدي أبي الذي مر على حبسه سبعة أعوام !.

وها أنا اليوم تحررت من لعنة الظلام ومكثت بين أحضان واقع مع حفنة ذكريات مؤلمة!.

اصعقت جسدي بمعركة حاسمة تسطر بحبر من وريدي !.

نصيحتي لكم لا تحاولوا العبث معهم، وتطيلوا الجلوس في الظلام بمفردكم، فهم يرونا أينما نذهب؛ احفظوا عهودكم ولا تحنثوها حتى تعيشوا بمأمن عن مكرهم القتال.

**** تمت****

نبذة عن المؤلفة

الاسم: سلمى عبد الهادي محمد

الدولة: مصر

– حاصلة على ليسانس حقوق وباحثة قانونية.

شاركت بالعديد من المسابقات الثقافية وحصلت على عدة القاب بفن القصة القصيرة منها سفيرة العرب ويمن السرد.

– نشرت بالعديد من الصحف الدولية الورقية منها جريدة المشاهير لأكثر من مرة وايضا جريدة المبدعون الورقية العراقية وجريدة أقلام المحلية.

أعمال سابقة:

– مشاركات قصصية بعدة كتب ثقافية مع نخبة من أدباء الوطن العربي منها كتاب "ترانيم القصص" الصادر عن دار ببلومانيا للنشر والتوزيع.

– مشاركة قصصية بكتاب ورقي مع نخبة من أدباء الوطن العربي "رياح وترية".

– مشاركة قصصية بكتاب ورقي مع نخبة من أدباء الوطن العربي "سنابل من حبر" تم طبعه بالجزائر.

– مشاركة قصصية بكتاب ورقي مع نخبة من أدباء المصريين وهو يعد بمثابة موسوعة أدبية في فن القص المكثف يضم رواد القصة القصيرة جدا بمصر " صفوة كتاب

القصة القصيرة جدا بمصر " وسيتم ترجمته للإنجليزية والفرنسية.. عن دار النوارس بالإسكندرية.

– مشاركة قصصية بكتاب إلكتروني مُجمّع مع نخبة من أدباء الوطن العربي.